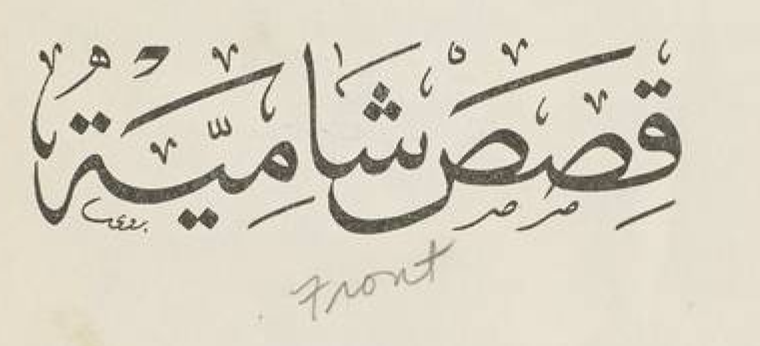
ماصدر وسيصدر من

سلسلة

المختار من الأدب العالمي


BOBST LIBRARY
3 1142 01517 3134

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية



قدم لها عميد القصة العربية

الاستاذ

محمود تيمور

بقلم

ألفة عمر باشا الادلبي

المقدمة

بقلم : عميد القصة العربية

الاستاذ محمود تيمور بك

ماكان أغنى هذه المجموعة القصصية عن أن أقدم لها بكلمات !

إنما تبسط المقدمة بين يدي الكتاب ، لكي تجلو فيه خفية ، أو تؤيد منه فكرة ، أو تدرأ عنه شبهة ، فموقف التقديم إذن أشبه بموقف الدلال في متجر ، أو الدليل في متحف ، وربما كان أشبه بموقف الدفاع في مأزق الاتهام ! ... وهذه المجموعة القصصية بين يدي قرائها تتجلى لهم بكل مافيها على غاية من اليسر والوضوح ، تثبت لنفسها ماهي أهل له ، وتنفي عن نفسها ماهي منه براء .

سوف يفرغ القراء من هذه المجموعة ، وقد اختلفوا أذواقا وأهواء ، تتفاوت مراتب إعجابهم بهذه القصة أو تلك ، ولكنهم سيتفقون جميعاً على أن كاتبة قصصية قد بزغ نجمها في أدبنا العربي الحديث ، وأن هذا النجم قد أخذ يبعث في عرض الافق ضوءه الوادع اللمّاح .

وشأني كله في هذه المقدمة أني أول هؤلاء القراء ، طالعت كثيراً مما حوت هذه المجموعة ، فأعجبت ببعضها تارة ، وعنّت لي ملاحظة في بعضها تارة أخرى ، ومن مزاج الملاحظة والاعجاب أكتب هذه السطور ،تحية لذلك الوميض الجديد الذي أضاء في أدبنا القصصي الطارف .

خير مافي هذه المجموعة أنها طراز خاص ، وشخصية مستقلة ، فيها تصوير للحياة الشرقية ، وتعبير عن العقلية الشرقية ، فهي شرقية الجو ، شرقية الروح ، شرقية النزعات والسمات ، وإنك لتقرأ تلك الاقاصيص فتلم بما للشرق في حياته الاجتماعية من خصائص ومميزات يتوارثها الاخلاف عن الاسلاف .

وصاحبة هذه المجموعة أمينة الوحي ، صادقة الالهام ، تستمد من روحها ومن عاطفتها ماطاب لها أن تستمد ، وإنك لتلمح في أقاصيصها مزيداً من الافصاح عن نفسية المرأة ، وقد يكون في هذا الافصاح جنوح إلى التمجيد والتنزيه ، ولكنه يبدو في غير صنعة ولا إغراق .

والسائد في هذه الاقاصيص تغليب الفضيلة في مواقف الابطال ، وبخاصة النساء . فبيناهم على شفا الهاوية ، تتناوح بهم رياح النزوات ، إذ يتماسكون ويتماسكون . ولكن التمهيد للمواقف ، والبراعة في السبك ، ودقة المعالجة تريك هذه المصاير طبيعية لاتكلف فيها ولا تزوير . وبذلك يبدو الفن القصصي في إطار خلقي لاينبو عنه المتزمتون .

وبناء هذه الأقاصيص يقوم على دعائم من استجابة الكاتبة للحياة من حولها ، فهي لاتضرب في مسابح الخيال ، فتسوي لنا صوراً من جانب السماء عليها أصباغ من قوس قزح ، لاتكاد تلمع حتى تخبو ... بل إنها تصطنع الخيال أداة طيعة تهبط بها إلى الحياة على ظهر الأرض ، فتتخذ من الاخيلة مايتخذ الطاهي من التوابل والأفاويه ، مطيباً بها الوان الطعام ، وهي تطيب بهذه الاخيلة ماتشهد من أحداث الناس ، وما تستجيب له نفسها من شؤون المجتمع ومرائيه .

والوصف في هذه الأقاصيص عنصر من عناصرها التي تزيدها حسناً ،

فاذا جاء ذكر المرقص وصفته أبرع وصف ، وإذا عرض الحديث للمتنزهات جلت لنا صورة طريفة من معابث الشباب بين الخمائل والرياحين .

ومهما تكن غلبة الرأي القائل بأن القصة يجب أن يكون لهـــا موضوع وهدف ، وأن يستعلي فيهـا جانب الفكرة ، وأن تكون تجربة من الحياة لها أثر في التعريف بالحياة ، فلا ريب في أن القصة في أول الأمر وآخره أدب ، والأدب ألوان ، والحظ العظيم فيه لامتاع النفس برقة الحـــديث ، ولطف المناجاة ، وعذوبة السمر ، فالقصة التي تكفل للقارىء هذا القدر من المتعة جديرة أن تعد في صميم الأدب ، إذ هي تؤدي وظيفة اجتماعية لمن ينشد في الفن روح السلوة والترفيه . وفي أكثر أقاصيص هذه المجموعة نماذج طيبة لهذا الضرب من الحكايات التي تدخـل في باب الأسمـار ، تهش لها النفوس ، وتلذ الاسماع .

والكاتبة في أقاصيصها تمضي في سرد المواقع وسياقة الأحداث ، لايخلو سردها وسياقها من تصوير ، ولكنه تصوير قليل الحظ من عنصر الحوار ، وليس ذلـك عن قصور منها في عقد المحاورة بين الأبطال ، وإنمـا هو اتجاه ومنهج ، ولو انها عنيت في تصويرها بعنصر الحوار لكانت لها فيـه آيات ، فان المحاورات القليلة في أقاصيصها تدل على فطنة ولباقة في تصريف الحديث .

ومن لوامع هذه الأقاصيص الافتنان في بدء الاقصوصة وختامهـا ، فالكاتبة حريصة على أن تحسن استقبال قارئها حرصها على إحسان توديعه فهي تطالعه بما يثير اهتمامه ويبعث شوقه ، وهي إذا أفضت إلى النهـــاية خبأت له مايكفل بعث الشوق وإثارة الاهتمام .

ومثل هذا الافتنان يتوضح في ترصيع العبارات بجمل ألاّقة أخاذة تـدل

المقدمة

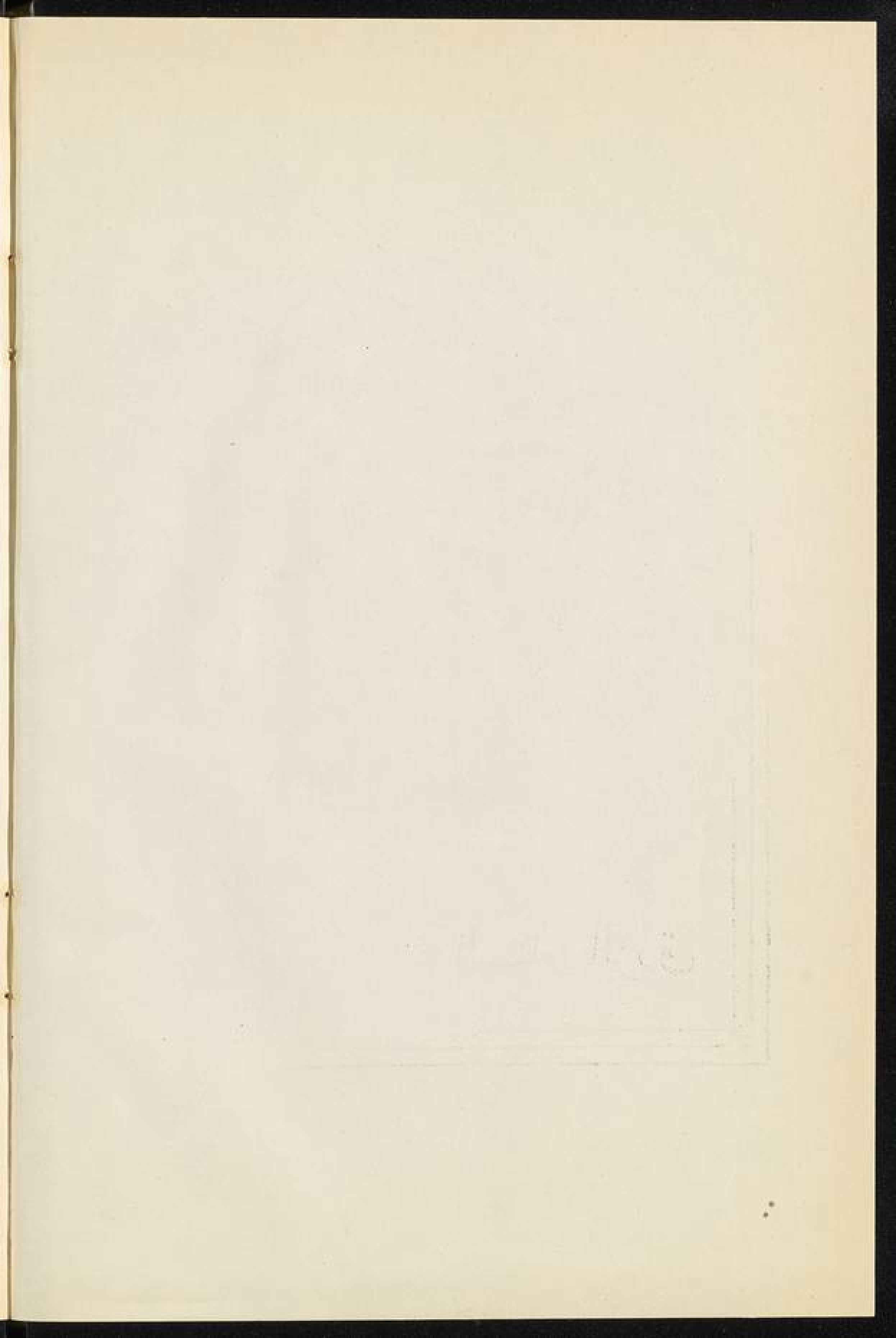
على أن قلمها يقظ وثاب ، وإنها لتقف بك أحيانا في مطاوي الاقصوصة وقفات قصيرة ، لتعلق على موقف ، أو تعقب على مشهد ، كاشفة لك بالتعليق والتعقيب عن ظاهرة من ظواهر المجتمع وشؤون الحياة .

ومما يتصل بافتنان الكاتبة في صوغ أقاصيصها أنها ربما تصيدت شيئاً صغيراً في مسرح الاقصوصة ، فجعلت منه محوراً بالغ الاثر في تقرير المصير وحدوث الانقلاب .

وبعد ، فقد أرادت لي الكاتبة بهذا التقديم أن تثير النزاع بيني وبين قرائها ، فلعل منهم من يرى في هذه الاقاصيص غير ماأرى ، وإذن تقف هي على مرقبة منا تتفرج ، وقد اطمأنت نفسها بما بلغته من شأو ، فالنزاع إنما يكون حيث يبلغ العمل الفني مرتبة الجودة ، مرتبة التقدير ... مرتبة النزاع !

محمود تيمور


الستائر الزرق



الستائر الزرق

أنا ياصديقي أسير سِحْر قد هيمن علي وملكني حتى أصبحت لا أستطيع منه خلاصاً . أنا مسير في كل مايصدر عني ،أتولها راضياً مطمئناً ، ولافرق عندي إن سحرتني التمائم والتعاويذ ، كما تعتقـــد أنت وأمي ، أو سحرتني نبالة ، وأنوثة كاملة ، وطيب أخلاق كما أعتقد أنا .المهم **أنني سعيد بهذا السحر ، حريص عليه لاارضى به فكاكا كائنا ما كان .**

لماذا تنكر ياصاحبي وقد عهدتك صريحاً شجاعاً ؟ ، أنا موقن أن أمي هي التي دفعتك إليَّ عساك تنجح في اقناعي حيث فشلت هي . فتعال أقص عليك حكايتي ، ثم احكم علي بما شئت .

كانت أمي تغتنم دائماً غياب زوجي فتقول لي :

ان قلبي يابني ليحترق عليك أسىً كلما رأيتك الى جانب زوجـك الكهلة التي لاتنجب أطفالاً . فكنت أحياناً أروع من هـذا الحديث ، وأحياناً أرجوها أن تدعني وشأني ، فأنا سعيد مع تلك التي اخترتها لنفسي . ورضيت بها .

ولكن لا أخفي عليك أنني منذ شهور قليلة أخذت أصغي إلى حديث أمي ، وأصبحت كلماتها تنفذ الى أعماق نفسي .

كانت تقول لي فيما تقول :

كيف تصبر يابني دون أن ترزق أولاداً وقـــد مضى على زواجك عشر سنوات ؟ ! ...

لا أدري والله كيف تجد السعادة طريقها الى بيت خال من الأطفال . فهم الذين يجعلوننا نستسيغ الحياة فننسى في رنين ضحكاتهم همومنا ، وهم الذين يبددون السأم والملل الذين ينتابان الزوجين من حين لآخر .

إنه لحق ماتقوله أمي . لقد بدأ الملل يدب بيني وبين زوجي ! ... فكنا إذا سهرنا في البيت تمر الساعات الطوال دون أن نتبادل كلمة واحدة . هي تنسج ، وأنا أقرأ . . وقد يتثاءب أحدنا فيرد عليه الثاني بتثاؤب أطول . أليس هـذا الركود شيئاً مخيفاً في حياة زوجين شابين ؟

كنت أحتمله فيما مضى راضياً ، أما الآن فقد أصبحت لا أطيقه . إذن أنا أريد أطفالاً ....

ومالي لا أجرؤ على البت في هذا الأمر ؟ هل أنا الرجل الوحيـد الذي سيضحي بزوجه من أجل الأولاد ؟ ؟ مئات وألوف من الرجال ضحوا قبلي بزوجاتهم وكان لهم عذرهم المقبول .

ولكنني لا أحب ياصديقي أن أمضي في خداعك كما خدعت نفسي فيما مضى . لقد كان من وراء كل ماقلته لك صبية فاتنة تعلق بها قلبي . فما الأطفال ، وما الملل الذي حدثتك عنه الا أعذار اختلقتها أمام ضميري لأتخلص من زوجي المسكينة ، وأفوز بتلك التي لم تتجاوز العشرين ربيعاً . وأحمـد الله لأني لم أنجح فيما رميت اليه . فانظر الى أي حد يبلغ خداع النفس أحياناً .

كانت الصبية جارة لأمي ، وكنت أجدها عندها كلما قدمت لزيارتها . كأني واياها على موعد . وتكررت زياراتي لأمي ، كنت أزورها في الاسبوع مرة ، فاذا أنا أزورها كل يوم . والصبية الماكرة تنسج شباكها حولي . حتى إذا اطمأنت الى فريستها أخذت تملي شروطها . هي لا ترضى بي زوجاً إلا إذا طلقت زوجي وكتبت لها سنداً بألف ليرة ذهبية أدفعها اليها يوم أرجع زوجي . وأن

أقدم اليها يوم عرسنا خاتماً من الماس لايقل وزنه عن عشرة قراريط . اقدقبلت بكل ذلك . ولكن عقدة العقد كانت كيف أفاتح زوجي الوادعة المطمئنة في بيتها ، والتي تسعى لاسعادي ، كأني طفلها المدلل ؟ . وخطر لي أن أثير بيننا خصاماً ينتهي بالفراق .. ولكني لم أفلح . كيف تستطيع مثلا أن تعبس في وجه من يبسم لك ؟ أم كيف تشاجر من يسالمك ، ويحتمل قساوتك بصدر رحب ، وصبر عجيب ؟

لقد استولى علي ضيق شديد كاد يقتلني . أنا حائر ، مضطرب ، ذاهل . لاأدري ماذا أعمل ...

لقد اشتريت الخاتم ، وكتبت السند . ولم يبق علي إلا أن أطلقها ، وأعقد على تلك التي يهفو اليها قلبي .

واهتديت الى طريقة أعجبتني . سأقول لزوجي إني مسافر ـ وكان من عادتي أن أسافر من حين لآخر بحكم تجارتي ـ وأطلب منها أن تذهب الى أهلها أثناء غيابي الذي سيطول أكثر من المعتاد ، ثم أكتب اليها رسالة أعترف لها بكل شيء وسينتهي مابيننا على أهون سبيل .

يالها من فكرة رائعة . لماذا لم أهتد اليها من قبل ؟ .

ولما أصبح الصباح فاتحتها بالفكرة الرائعة . وحاولت أن أكون معها طبيعياً جهدي ، كما اعتادت ان تراني . فاذا الاصفرار يعلو وجهها الوادع فتتهالك على أريكة قريبة منها . وتجلس عليها مطرقة رأسها الى الارض . ولاح على فمها شبح ابتسامة حزينة ، وأخذت تهز رأسها كأنها تقول :

هذا ما كنت انتظره !!!

يا إلهي ماذا اعتراها حتى استولى عليها هذا الوجوم ؟

هل علمت بالذي نويته لها ؟ وكيف تناهى اليها الخبر ؟ تباً لهذا البلد الذي

لايكتم سراً . وأردت أن أتكلم فجف الريق في حلقي ، وغابت الكلمات عن ذهني . فلم أجد ما أقوله .

وجلست على الأريكة المقابلة . وساد بيننا سكوت ثقيل . فمددت يدي الى جيبي لأخرج علبة التبغ - ألا نلجأ الى اللفافة في حالاتنا العصبية لنتنفس عن صدورنا ؟ . فاذا يدي تعثر بعلبة مخملية صغيرة . يالي من أبله بليد ! لقد نسيت الخاتم في جيبي . وسرت في رعشة عندما لمسته كالمجرم عندما يرى أداة جريمته . لابد أنها رأته وفهمت كل شيء . كنت أتحاشى النظر اليها خوفاً أن تلتقي نظراتنا فتقرأ في عيني شيئاً ، ثم اختلست منها نظرة ، فاذا هي مازالت على وضعها الاول ، كأنها تمثال من حجر ، يبدو عليها الترفع والكبرياء رغم الحزن العميق وقد وضعت يداً فوق يد . يداها البديعتا التكوين مازالتا بضتين تشبهان يدي الجوكوند وقد أخذ يلمع في اصبعها خاتم الزواج .

أي ذكرى أليمة حملها إلي هذا الخاتم ...

يوم جثوت أمامها على ركبتي ، وأخذت أقبل يديها البضتين . ثم مددت يدي الى جيبي وأخرجت هذا الخاتم بذاته ووضعته في اصبعها . فضمت رأسي اليها ، وأغمضت عيني وشعرت كأني أسعد انسان على وجه الأرض . فاذا دموعها تتناثر حارة على وجهي .

- يا الهي ! أنت تبكين في أسعد ساعاتنا؟ !...

قالت بصوت متهدج :

لو تعلم كم أحبك ! .. وكم ضحيت في سبيلك عندما رضيت أن ألبس هذا الخاتم .. أنت تعلم أنني أكبر منك ، وقد تزوجت قبلك ولم أنجب . فلا بد أن يأتي يوم تزهد بي ، وتنتزع هذا الخاتم من يدي !! أي شقاء سينتظرني عندئذ ؟ .. وهل تراني أقوى على احتماله ؟ ؟

فضممتها الي وأنا أقول لها :

يا أعز الناس علي ، هل يوجد على الأرض من يستطيع أن يزهد بك ؟؟ .. عدني بربك أن لاتعيدي هذا الكلام على مسمعي مرة ثانية . لأنه يجرحني في صميمي .

لاشك أنها الآن تذكر كل ذلك . لماذا لا تنفجر باكيـــة ، وتسبني ، وتشتمني وتنعتني بأبشع الألقاب ؟ كل شيء والله أهون علي من هذا السكوت الذي يكاد يخنقني . وشعرت بميل شديد يدفعني أن أقوم اليها فاحتويها بين ذراعي ، أطلب عفوها وغفرانها .

لكن لا ... هذا الشعور لاشك أنه آت من تأثير السحر الذي طالما حذرتني منه أمي . فلأصمد قليلاً . هذه اصعب مرحلة في قضيتنا .

ودق جرس الهاتف فتنفست الصعداء كأنه أطلقني من أسري . فأسرعت ورددت عليه . كانت مخابرة تافهة . ثم ارتديت معطفي ، وخرجت الى الطريق . وركبت سيارتي وأخذت أجوب الطرقات على غير هدى ، كنت كالمحموم تنتابني شتى الهواجس ، ولم أستطع أن أركز تفكيري في نقطة واحدة لقد تمنيت والله أن يحدث لي حادث ينهي حياتي لأتخلص مما أنا به .

ولما حان موعد الغداء . عدت الى البيت . وترددت كثيراً قبل أن أدخله وتساءلت : ترى ماذا تعمل هي الآن ؟ . وأدرت المفتاح في الباب ودخلت كاللص . فاذا البيت على احسن ترتيب . الأزهار نضرة منسقة في آنيتها ، وكل شيء يلمع : الأرض ، الجدران ، زجاج النوافذ ، المرايا . يالها من جنية !! كيف استطاعت أن تنجز كل ذلك والخادم غائبة . وهي على ماهي عليه من القلق ، والحزن والاضطراب ؟ . ماذا ترمي ياترى من وراء ذلك كله ؟ أمن أجل أن تثبت لغريمتها أنها سيدة بيت من الطراز الاول ؟ وبهت عندما رأيت حقيبتين كبيرتين في المدخل . ثم برزت هي أمامي ، وقد ارتدت ألبستها الكاملة ، كانت لاتزال شاحبة الوجه ، مكدودة العينين . وأرتج

عني أمامها . ثم قالت بصوت خفيض دون أن تنظر إلي :

هل تسمح فتوصلني بسيارتك إلى بيت أهلي ؟

فأجبت بصوت واجف : كما تريدين .

ثم نظرت الى الحقيبتين ، ونظرت إلي وقالت :

أتحملها أنت أم أحملها أنا ؟

قلت ملتعثماً :

بل أحملها أنا ...

وحملت الحقيبتين الثقيلتين ، ووضعتها في صندوق السيارة ، وأنا أقول في نفسي :

يا الهي أبهذا اليسر يتم كل شيء بيننا ؟ .

ثم أطبقت باب المنزل بتؤدة ، وشملته جميعه بنظرة كأنها تودعه الوداع الأخير . ثم سارت منكسة الرأس حتى السيارة ، وفتحت بابها وجلست في المقعد الخلفي على غير عادتها . وهممت أن أدعوها الى جانبي ولكن لا .. أليست دعوتي هي السخف بعينه ؟

وأدرت مقود السيارة ويداي تضطربان . فاذا هي تهتف بي قائلة :

قف . قف ربك . لقد نسيت ! .. نسيت أن أغلق نوافذ غرفة الاستقبال . والشمس ستتلف الستائر الزرق .

فوقفت السيارة . وعادت هي الى البيت لتغلق النوافذ . وأسندت رأسي المتعب الى المقود ، وأغمضت عيني وأخذت أقول في نفسي :

يامسكينة ! مالك والستائر الزرق؟ إن أتلفتها الشمس أم لم تتلفها . أنت تعلمين جيداً أنها لم تعد لك . بل ستصبح عما قريب لغريبة لك . وتذكرت جيداً كم جابت الأسواق حين اشترت هذه الستائر حتى وفقت الى لونها الأزرق النادر ، وكم أمضت من الايام مكبة تطرز أطرافها ، وتحيط حواشيها . لم يدخل

بيتنا أحد قط إلا امتدح هذه الستائر ، والذوق الذي اختارها ، والايد الصناع التي طرزتها .

أنت أم أيتها المسكينة ... أنت أم هذا البيت ، أنت أنشأته ، وأنت رعيته وأنت تريدينه سليما محفوظاً من الأذى كما تريد الأم وليدها ولو كان في حوزة غيرها. يالي من قاس صخري القلب ، كيف أستطيع أن أحرمك من هذا كله ؟ ! .

آه ليتك كنت تنجبين أطفالاً !

ولاح في مخيلتي على الفور طيف الصبيـــة ذات العشرين عاماً ، وهي تتثنى وتضحك وتنظر الي بخبث وكأنها تقول :

أحقاً من أجل الأطفال تتركها ، أم من أجلي أنا ؟

ووجدتني أقفز من السيارة ، فاقطع الحديقة بخطوتين ، ثم أدفع الباب ، فأصطدم بها وجهاً لوجه خلف الباب . ثم أمسك يدها فأسحبها الى داخل البيت ، وأنا أقول لها :

أليس من الخير ياعزيزتي ان تبقي هنا تعتني **بستائرك الزرق**

وفهمت مارميت اليه فتهالكت على أول مقعد رأته وانفجرت باكية . وأخذت تنشج بصوت عال . ان أعصابها القوية التي استطاعت أن تتغلب على دموع القهر لم تستطع التغلب على دموع الفرح .

ووجدتني أجثو على ركبتي أمامها ، وأقبل يديها . ثم أمـــد يدي الى جيبي فأتناول الخاتم الماسي من العلبة المخملية ، وأضعه في أصبعها . فضمت رأسي اليها وأخذت دموعها تتناثر حارة على وجهي .

لقد شعرت براحة عظيمة . كأن حملاً ثقيلاً أزيح عن كاهلي أو كأني غريق قد صارع الأمواج والأنواء. فلما انتهى الى شاطيء السلامة أركن الى الراحة.

فليكن هذا سحراً ياصاحبي . اني راض به ، مطمئن اليه لأرضى به فكا كائناً ما كان .

القرار الاخير



القرار الأخير

عندما تلقى احمد أمراً بنقل وظيفته من دمشق الى ناحية من نواحيها النائية تأفف وتزمر ، ولعن الحاجة التي جعلته عبداً ذليلاً لوظيفة صغيرة.

صعب عليه ان يترك دمشق ، وفيها ناديه الليلي ، وقهوته النهارية . وكان يعرف ان لافائدة من الاعتراض على هذا النقل فسار الى مقر عمله الجديد صابراً على مضض . وفي الغد باشر وظيفته .

كان زميله الذي يقاسمه مكتبه رجلاً ذا فطنة وظرف ،لاحظ ان احمدرفيقه الجديد اديب مهذب . وادرك الخيبة التي تصيب شابا لازوج له ولا ولد ، حكم عليه ان يترك دمشق وما فيها من لهو وسلوى الى هـذا البلد الموحش المقفر حتى من دار صغيرة للسينما . فاحب ان يخفف عنه بعض الشيء ، فاخذ يحبب اليه الانضمام الى رحلات يقوم بهابعض الموظفين في نهاية الاسبوع الى الجبال والاودية القريبة . حيث الطبيعة الاخاذة ، والصيـد الوفير . وسهرات يقضونها في تبادل النكات ، ولعب الورق يشترك فيها احيانا الموظفون الذين يرغبون بمظاهر المدنية الحديثة ، فيصطحبون معهم أسرهم ، ويسهرون في دار المـدير ، فيسمرون حيناً ويستمعون لآلة الراديو حينا آخر ، لان المدير هو الموظف الوحيـد في القرية الذي يملك آلة راديو . وهو رجل مضياف ، انيس وديع في بيته ، بقدر ماهو حازم وجاد في وظيفته ، وزوجه شابة انيقة لبقة ، تعرف كيف تسلي ضيوفهـا وتخلع على سهراتها جواً بديعاً من المرح والوقار . فاذا احب احمد أن يصطحبه في سهرة الى دار المدير فعل . لان لديه من الثقة بالمدير وزوجه والدالة عليهما مايجيز

له أن يصطحب معه صديقاً يقدمه اليها .

رضي أحمد شاكراً ، لاحباً بمديره المضياف ، ولا رغبة في زوجه الانيقة اللبقة . ولكن على أمل أن تكون السهرة هناك أصلح حالاً من السهر في غرفته الباردة ، ومصباح المدير أبعث نوراً من مصباحه الضئيل .

عندما قدمه زميله لزوج المدير ذهل احمد ، وبالكاد استطاع ان يحبس شهقة كادت تخرج عالية من فمه . إنها سلمى ، مثله الأعلى يعيدها القدر اليه بعد أن أضاعها عشر سنين كاملة .

جلس احمد في زاوية منفردة ، واخذ يرد على الاسئلة والمجاملات التي توجه الى زائر جديد رداً مقتضباً ، متظاهراً بالاهتمام بما تذيعه آلة الراديو من اغان وأحاديث ، أما عقله فكان قد شرد وشرد بعيداً جداً ، عشر سنين الى الوراء .

ترى هل تذكرت سلمى ذلك الشاب النحيل الاسمر الذي كان يتبعها عندما كانت في السابعة عشر تسير في الشارع ذهاباً لمدرستها وإياباً منها فيتبع خطواتها ويبعث اليها بكلمات دعابة رقيقة . وكثيرا ما كانت تبتسم لكلماته ابتسامة مشرقة تسفر عن اسنان تلوح نضيدة لألاءة خلف نقابها الشفاف . فتبعث ابتسامتها فيه أملاً وسحراً . وربما لازمه طيفها بعض الليالي حتى الصباح .

كان هذا ديدنه سنة كاملة . حتى عاد يوماً من رحلته الكشفية فلم يجدها ولما سأل عنها قيل له : ان رب الاسرة غريب عن دمشق ، فلما أحيل على التقاعد آثر العودة الى بلده .

فعرف أنه حرم منها الى الابد . ولا يزال يذكر كم كان شاقاً عليه ذلك الحرمان . فاحنى على نفسه يومئذ لوماً وتقريعاً . ولكم وصف نفسه بالجبن والغباوة لأنه لم يكتب اليها ولم يفتش عن سبيل للتعرف عليها ، أما كانت ابتسامتها كافية لتشجيعه على الكتابة اليها ؟ تباً لهذا النقاب الشفاف ، إنه حاجز منيع يحول دون التعرف بين الرجل والمرأة مهما شف ورق ! .. من يدري ؟ لعلها كانت

تبادله شعوره .. ولو انهما استطاعا ان يتفاهما لأخلص كل واحد لصاحبه ، ولكانا اليوم زوجين سعيدين .

عاد احمد من سهرته . ولو سئل عنها كيف كانت ؟ لما استطاع أن يجيب شيئاً . لانه ماوعى منها حديثا . ولم يبق في ذاكرته الا رسم قوام أهيف يصلح نموذجا لفنان ، وابتسامة مشرقة مازالت كعهده بها تسفر عن اسنان نضيدة لألاءة ، غير انها كانت فيما مضى تبعث فيه أملاً وسحراً أما الآن فقد بعثت فيه ألماً ويأساً ، وشعوراً قوياً بالحرمان .

مضى شهران . فاذا أحمد صياد ماهر ، يجوب الجبال والاودية القريبة ، يمتع نفسه بالطبيعة الأخاذة ، وصديق حميم لبيت المدير ، يتحفهم من حين لآخر بصيده الوفير ويحظى بالابتسامة المشرقة .

ولو سئل عن حاله لأجاب أنه قانع ، ولربما سعيد . ولعله لو خير بين العودة الى دمشق . وفيها ناديه الليلي ، وقهوته النهارية لآثر البقاء في الناحية الموحشة التي صارت في نظره عامرة آهلة .

ولكن سوء طالعه لم يشأ أن يمتعه طويلاً بهذا النزر اليسير من السعادة والرضى . فيزم الناحية مفتش كبير ، ويثني على المدير وحسن تصرفه ويريد أن يكافئه ، فيترك له الخيار في أن يبقى في ناحيته ، أو ينتخب ناحية أخرى قريبة من دمشق .

لقد فرح المدير بهذه المنحة . وأحال الأمر على زوجه فهي أحرى أن تبت فيه .

قلق الموظفون لفراق مديرهم . وكان أحمد أشدهم قلقاً . أتعاوده غباوته وجبنه المعهودان فيحرم من سلمى مرة أخرى ؟

كلا ... ليس هو ذاك الفتى الغر ، لقد أصبح رجلاً كامل الرجولة ، له

صولات وجولات في ميدان الحب والغرام . ألم تبادله سلمى نظرات بنظرات ؟ ألم تجاهر باعجابها به ؟ ألم تثن على آرائه وتستسغ نكاته ؟ ألم يلمح بوارق الحب تلوح في عينيها من حين لآخر مها حاولت اخفاءها ؟ . فما عليه إذا كتب اليها يرجوها أن تبقى ؟ أو حسبه أن تعلم أنه أحبها ،وظلت مثله الاعلى عشر سنين كاملة وستبقى كذلك دائما أبداً .

تلقت سلمى رسالة أحمد ، وقرأتها مرات عديدة ، وفي كل مرة كان قلبها يضرب بقوة وعنف . وحارت بماذا تجيب .

وفي المساء أوت الى السرير الذي كانت تقتسمه هي وزوجها . وظلت فريسة صراع عنيف قام بين ضميرها وعاطفتها حتى الفجر . كانت العاطفة تطغى فتقرر البقاء لتتمتع بهذا الحب الذي هبط عليها من السماء ، وسوف لايجود به الدهر مرة ثانية . ستـرعاه نقياً طاهراً ، وستجعله مقتصرا على النظرات المختلسة ، ودقات القلب العنيفة اللذيذة . ولكن الضمير كان يغالب العاطفة ويبكتها بآيات بينات . ألم تبتدىء قصص الحب التي قرأتها ، أو سمعتها بنظرات بريئة ، وتنتهي بآثام مريعة؟ أتجيز لنفسها ما آخذت عليه الآخرين ؟

وأخـيراً استطاعت ان تخرس الضمير ، وتصم أذنيها عن آياته البينات . وتقرر البقاء .

كان الاعياء قد بلغ منها كل مبلغ . فشعرت بالحرارة تتمشى في أطرافها ، وأحست وهجها في خديها . وفي حركة عصبية أزاحت الغطاء بعيداً ، وأخرجت ذراعيها العاريتين رغم البرد الشديد .

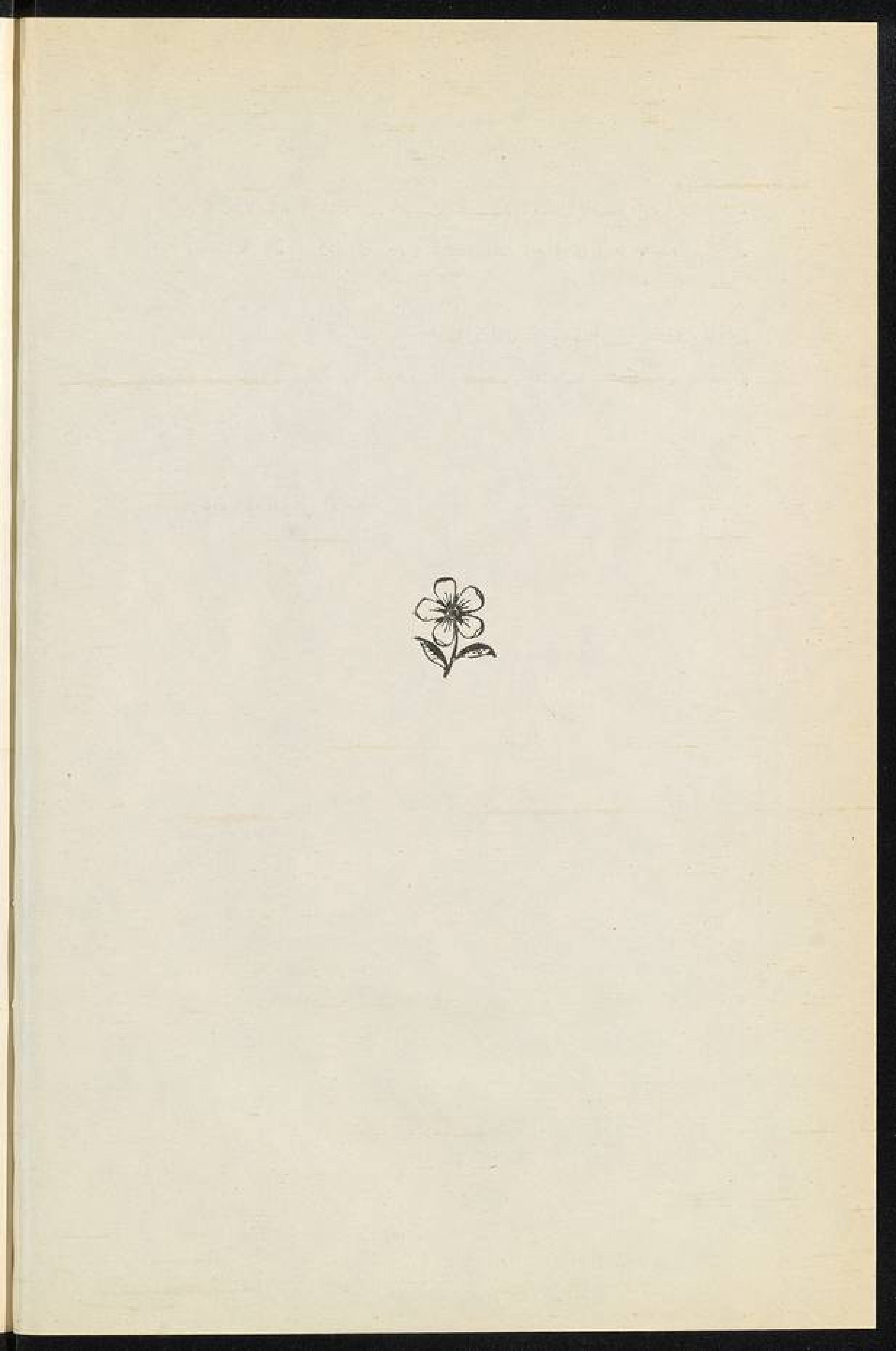
شعرت سلمى بحركة خفيفة خلف ظهرها . فاذا يد تمتد بعطف وحنان ، فتسحب الغطاء برقة وأناة ، وتحكمه حول عنقها ، وفي منحنى خصرها ، وأصابع رقيقة تجس الخد جساً لطيفاً لتطمئن هل هناك حرارة

وكأن الاصابع الرقيقة عندما مست الخـــد ، مست الضمير أيضاً فتنبه مرة ثانية ، ولكنه كان اكثر نشاطاً ، وأدعم حجة ، وأقوى برهانافاستطاع أن ينتصر .

فاذا زفرة حرى تخرج من أعمـاق قلبها ، ودمعتان كبيرتان تجولان في عينيهـا ، أما شفتاها فقـــد تمتمتـا كلمتين قاطعتين حازمتـــين :

سنسافر غداً .

وكان هو القرار الاخير .



قصة مهدي افندي



قصة مهدي افندي

كم تمنى مهدي أفندي لو نشأ حب عنيف بينه وبين اي فتاة من هؤلاء الفتيات الرشيقات اللواتي يشاهدهن في شوارع دمشق ومتنزهاتها ، وقد اسدلن على وجوههن نقباً شفافة تزيد حلاوتهن سحراً ، وجمالهن اشراقا .

ولكن الحب في دمشق ، الرازحة تحت أعباء من العادات القديمة القديمة ، والتقاليد البالية أمر عسير صعب المنال . مهما سعى اليه الساعون ، ورغب فيه الراغبون . خاصة في ذلك العصر الذي كان يسيطر فيه الحجاب سيطرة تامة ، فالحب وقتئذ كان امره منوطاً بالصدف ، والظروف تلعب به كيفما شاءت . فلربما جادت على اناس فنعموا به . وشربوا من رحيقه حتى الثمالة الى ان عافوه وملوه ، ان كان يعاف ويمل . ولربما بخلت به على آخرين فظلوا عطاشاً اليه مدى الحياة يزيدهم الحرمان رغبة فيه ، وشوقا اليه ، حتى كان في حسبانهم الفردوس المفقود.

وكان مهدي افندي من هؤلاء التعساء الذين بخلت عليهم الظروف والصدف رغم قوامه المشيق ، ووجهه الجميل . ولطالما نقم مهدي افندي على حسنه وجماله ، وتساءل مافائدتها ؟ إذا لم يجدياه نفعاً في ميدان الحب والغرام ، حيث في عرفه يفوز الحسن ويغلب الجمال .

وان نقمته لتزداد حدة كلما حدثه صديقه ذلك **قزم الدميم** عن حبيباته الثلاث وعن تفانيهن في سبيله ، وغيرتهن عليه ، ولربما قرأ له بعض رسائلهن المليئة بالدلال والعتاب ، والشوق والهيام .

انه لايزال يذكر عندما كان في العشرين من عمره كيف كان يخرج مع رهط من صحابه في يوم الجمعة من كل اسبوع .فيمموا شطر سفح جبل قاسيون في الايام المشرقة من الشتاء قصد النزهة . وفي الحقيقة كان دأبهم ملاحقة الفتيات المتنزهات ، واللواتي كن يسرن فرادى وجماعات ، وكأنهن مع هؤلاء الفتيان على ميعاد . وكثيرا ما كن يجلسن على سفح قاسيون الشامخ ، يجسرن أنقبتهن قليلا ليمتعن الانظار بمرأى الفيحاء الغارقة في بحرهـــا الزمردي ، فيمر هؤلاء الفتيان من امامهن ويلقون اليهن بكلمات غزل رقيقة تتلقاها الجميلات الحسناوات منهن بالرضى والابتسام ، وتتلقاها القبيحات المنكرات بالزجر والسخط غيرة على الفضيلة ، وحرصا على مكارم الاخلاق .

واذا كان الصيف التمسهن في مقاصفه دمر والربوة . وعلى حفافي بردى وتحت صفصافه الوارف الظلال .

واذا كان الربيع ، وازدهرت اشجار المشمش والاجاص ، تبعهن مع رفاقه الى مغاني الغوطة ومفاتنهـا ، حيث كثيرا ما كان هاتـه الفتيـات تتحررن بعض الشيء من حجابهن البغيض اليهن كثيرا ، فيسفرن عن وجوه تشيع فيهـا الصباحة والملاحة ، اللتان كثيرا ماجادت بها الطبيعة على بنات الشام . وعندهـا يحدث بين الشبان جدل وجلبة وهذا يؤكد ان ذات العينين العسليتين والاهداب الطويلة قد غمزته ..

وهذا يصر على الرفاق ان يتبعوا هذا السرب من الفتيات لانه توهم ان فيهن واحدة قد ابتسمت له ابتسامة مغرية .

وذاك يكذب على الرفاق فيلفق قصة مفادها: ان بين هؤلاء الفتيات فتاة تبادله الحب والغرام . وانه لضنين بذكر اسمها خوفا عليها من الفضيحة ، فهي من اسرة محافظة جدا ، واقل اشاعة في هذا الصدد ستقضي على حبه القضاء الاخير . ولكن الرفاق يصرون على معرفة الفتاة ، وهو يصر على الانكار ، ثم تقع الشبهة

على فتاة صفيقة الحجاب ، هيفاء القـد ، بضة اليـدين . فيتظاهر هو بالاضطراب الشديد ، ويحلف باغلظ الايمـان انها ليست هي . وما ذاك إلا ليثبت التهمـة على الفتاة المسكينة ، وإنه لمغتبط في قرارة نفسه ، لأن الحيلة انطلت على الرفاق ، وأصبحوا يحسدونه على حظه السعيد . وخاصة مهدي أفندي .

ولا يعود الفتيان من نزهتهم التي قد تمتد طول النهار ، إلا إذا عادت الفتيات، ليركبوا معهن حافلات الترام ، ويتعمدوا الزحام ليدافعوهن بالمنـــاكب ، ويلمسوهن بالأيدي .

وإن ينس مهدي أفندي لاينس صبية شقراء اتفق أنه رآها ذات أصيل تسير صحبة عجوز شمطاء في أحد شوارع دمشق . فأخذ بجمالها الفتان الذي لم يكن قد شاهد نظيره الا في الصور والرسوم . وكانت الصبية ترتدي معطفاً أبيض ناصع البياض ، وقد أسدلت على رأسها نقاباً كحلياً شفافاً جداً . وأخذ شعرها يلمع من تحته كخيوط من ذهب ، أما عيناها فكفيروزتين نقيتين ولكن لهما بريق الماس . وقد صبغت شفتيها بلون العقيق .

تبعها مهدي أفندي على غير هدى مسافة طويلة . وكان في طبعه حياء وخجل وإباء وترفع . ولكنه في هذه المرة تغلب على حيائه وخجله ، وتنازل عن إبائه وترفعه ، وتقدم من الصبية حتى حاذاها . ثم مال عليها قليلا وهمس :

ياروحي على الجمال ! .

فاذا العجوز تلتفت اليه لفتة منكرة ، وتصرخ في وجهه بأعلى صوتها :

الي متى تتبعنا ؟ ياكلب ، ياسافل ، ياقليل الحيا ياعديم الشرف والحمية ، والمروءة ! ...

وإلى هنا لم تعد أذنا مهدي أفندي تعيان شيئاً مما تتفوه به العجوز . فقدطفر الدم الى وجهه ، وتصبب منه العرق ، وود لو انشقت الارض وابتلعته . لاسيما عندما رأى بعض المـارة يضحكون منه هازئين به ، وبعضهم يتمتم لاعنين فتياة

هذا الجيل وتبرجهن الخليع الذي لايقوى هؤلاء الشبان المساكين على مقاومته .

ورغم كل ذلك لمح مهدي أفندي على وجه فتاته ابتسامة رقيقة لم يدر أكانت هازئة به مع الهازئين ، أم مشفقة عليه من عجوزها الشمطاء ، ولسانها السليط ؟ .

ومنذ ذلك اليوم حرّم على نفسه أن يغازل ، أو يلاحق ، أو يكلم فتاة في الطريق ولو كانت من الحور العين ! .

وثبت مهدي أفندي على تحريمه .

ومرت أيام ، تلتها شهور ، تبعتها سنون وسنون . وعت ذاكرة مهدي أفندي أشياء ، ونسيت أشياء ، إلا صورة واحدة مازالت ماثلة في مخيلته كأنه رآها اليوم .

الخيوط الذهبية تلمع من تحت النقاب ، الفيروزتان النقيتان ، الشفتان المصبوغتان بلون العقيق ، المعطف الابيض ، النقاب الكحلي الذي يعكس لوناً بنفسجياً على صفحة الجيد العاجيـة . السحر والفتنة في كل لفتة وفي كل خطوة .. والى جانب هذه الصورة الملائكية ، صورة عجوز شمطاء يقذف فمها السباب والشتائم كما تقذف البراكين الحمم .

كم تمنى مهدي أفندي لو كان رساماً بارعاً لأبدع من الصورة الملائكية الماثلة في مخيلته لوحة فنية خلدها على الدهر ، أو ليته كان شاعراً لنظمها قصيدة عصماء ، أو مثالاً لأنطق منها الحجر . ولكن مهدي أفندي لم يكن واحداً من كل هؤلاء ! ...

إنما هو قاض في محكمة شرعية ، يفصل في القضايا التي تعرض عليه باستقامة ونزاهة لاتشوبها شائبة . ومنذ ماتت أمه وتزوجت أخته الى بلد بعيد عن دمشق ، يعيش مهدي أفندي في عزوبة مملة ، وفي بيت صغير تقوم على تدبيره امرأة عجوز .

وقد رغب عن الزواج لانه لايؤمن بـه إلا إذا سبقه حب جارف ، أو اعجاب بالغ ، وما من سبيل اليها ومهدي أفندي على تزمته وترفعه اللذين يزدادان عنتاً بحكم وظيفته .

وان كان في حياته شيء يدخل عليها السرور والحبور فهو هذا الثناء العاطر على عدله واستقامته ، والذي ينهال عليـه من أفواه كل من عرفهم من الناس . وهو فخور بميزته هذه أشد الفخر ، قوي الإيمان بنفسه يعتقد انه لايوجد على سطح هذه الارض من يستطيع أن يزحزحه قيد أنملة عن نصرة حق أو ازهاق باطل .

وما راعه ذات صباح الا امرأة عجوز استأذنت بالدخول عليه في بيته ، ولما رآها عرفها فتمتم :

يالالعجوز الحيزبون ! ألم يأت عليـــك الدهر بعد ؟ إن أمثالك يعمرون طويلا ! ! ..

ولكن فم العجوز الذي قذف مهدي أفندي فيما مضى بالسباب والشتائم ، أخذ في هذه المرة يبذل معسول الكلام ، ورقيق الأرجيات :

سيدي القاضي ! يا أنزه القضاة وأعدلهم ، يا أشرف الناس وأنبلهم . غداً ستعرض عليك قضية ربيبتي وابنـــة أختي تطالب الطلاق من زوجها . أرجوك ياسيدي القاضي أن لاتصدق دعواه الكاذبة ، وافتراءه الآثم . انه والله منذ خسر ثروته في مغامرات فاشلة عكف على الشراب والميسر . ما زالا ينالان من صحته وثروته حتى أتلفاها . لقد باع حلي زوجته ، وأتى على أثاثها . أقسم لك ياسيدى القاضي انها لجائعة عارية في كنفـه . ومن أنى له أن يقوم بأودها وهو لا يملك ثروة ولا صحة . لقد صبرت عليه كثيراً فجازي صبرها شر الجزاء . وأخذ يسومها انواع الخسف ، وضروب العذاب ...

آه ياسيدي القاضي لو رأيتها ! .. انها والله ذات صون وعفاف ، وحسن

وجمال ، قؤوم على البيت ، رؤوم بالأهل . ولكن ما الحيلة وحظها عاثر ؟ ! . انها والله لتليق برجل عظيم . ورنت الى القاضي بنظرة تغني عن الكلام .

فأجابها باتزان :

اطمئني سيدتي سيأخذ العدل مجراه ...

وغيرت نظرة العجوز رأي مهدي أفندي فيها فقال في نفسه :

يالها من عجوز مسكينة ! تظهر طيبة القلب ، رقيقة العواطف . أرجو أن تكون صادقة في دعواها . ولمع في ذهن مهدي أفندي خاطر بسرعة البرق . خفق له قلبه ، وهشت نفسه .

ترى هل آن الأوان ليودع مهدي أفندي عزوبته المملة . ويحظى بأسعد أمانيه ؟ ؟ ..

ولما كان الغد وعاد مهدي أفندي من وظيفته الى بيته كان مشتت الذهن ، وبات ليلة منكرة جفاه فيها النوم ، وعاداه الكرى . وأخذ يلح عليه سؤال أعياه جوابه :

ترى هل كان على حق عندما حكم بالتفريق بين المرأة وزوجها ؟ . أم فرق بينهما لغاية في نفس يعقوب ؟ ..

ثم يتملكه رعب شديد كلما فكر بنظرات الزوج النارية الناطقة بالحقد والقهر ، والتي حدج بها القاضي عندما نطق بالحكم . ولأول مرة تحاشى مهدي أفندي نظرات محكوم . ثم تهدأ نفسه قليلا عندما يتمثل الصبية واقفة أمامه تنظر اليه بضراعة واستعطاف وما زالت الخيوط الذهبية تلمع ، والفيروزتان تتألقان ، غير إن القوام امتلأ قليلاً عما عبده . وهذا مما سر مهدي أفندي وراقه كثيراً .

ولما مضى الليل إلا أقله ، كان قد اهتدي الى دفاع قد برر به نفسه أمام ضميره . ألم يوجد العدل على الأرض ليعم السلام والوئام بين الناس ؟ .

أليس هذا الرجل الذي حكم بالتفريق بينه وبين زوجه في نكد من العيش وهو يعاشر امرأة تناقره وتناكفه ليلاً نهاراً؟

أليست هذه المرأة في نكد من العيش وهي تعتقدانها مهضومة الحق عاثرة الحظ؟

أليس مهدي أفندي في نكد من العيش ؟ . وأي نكد !! .

وارتاح الى دفاعه هذا فنام مطمئن النفس ، مرتاح البال .

وجد مهدي أفندي من الانسب ان يتريث قليلا في خطبة الصبية كي لايثير حوله الشكوك والريب . ولا بد من شهور معدودة لكي يجوز الزواج . وفي أثناء ذلك قرر ان يبني داراً تليق بالحبيبة الغالية . فباع كل ماورثه عن أبويه ، وضم اليه كل ماادخره وقتره على نفسه ، حتى إذا صار لديه مبلغ من المال لابأس به اشترى قطعة ارض في أحسن حيّ ، وباشر في بنائها على أحدث طراز .

وما هي إلا شهور قليلة حتى انتهت الدار من بنائها ، وجاءت وفق ذوقه تماما ولم يبق الا زخرفها الخارجي ، وتنسيق حديقتها .

واخذ مرة يتفقد غرفها وطنفها : هذه غرفة الضيوف ، وتلك قاعة الطعام ، ولما وصل الى غرفة الزينة شط به الخيال فتمثل فاتنته الغالية جالسة أمام المرآة في غلالة رقيقة ، تمشط شعرها الاشقر الكثيف ، وترش العطور على جسمها البض وتصبغ شفتيها بلون العقيق .. وعندها كاد يغمى على مهدي أفندي من روعة الخيال وبهجته ! .. وقرر ان يرسل في الغد احدى قريباته لتخطبها له ، وليتقول ماشاء المتقولون ..

وعاد الى بيته الصغير وهو يكاد يطير فرحا وحبوراً . وما كاد يدخل حتى ناولته خادمة رسالة وردت اليه من صديقه **القزم الدميم ذي الحبيبات الثلاث**. ففضها بسرعة وقرأ فيها :

أكتب اليك وانا في شهر العسل . لكم انا مدين اليك بسعادتي وهنائي .. فانت الذي حكمت بطلاق حبيبتي من زوجها الغاشم . وان زوجتي لاتنسى نظراتك

الحادبة عليها المليئة بالعطف والحنان ، والتي كنت توجهها اليها اثناء المحاكمة .
وقالت لي أيضاً ان وجهك الوديع ليس بغريب عنها .

أرجو لك سعادة كسعادتي ، وهناء كهنائي فأنت جدير بهما يا أنزه القضاة وأعدلهم .

مزق مهدي أفندي الرسالة إربا إربا . وما من احد يستطيع ان يصف لنا ليلته الليلاء ، وفجرها البعيد ! . فقد عاف سريره ، واخذ يذرع ارض غرفته جيئة وذهابا يكلم نفسه كمن به مس . ولولا لطف من الله ورحمة لجن مهدي أفندي جنوناً يائسا !!

عجب أهل الحي الذي بنى فيه مهدي أفندي داره الجديدة وتساءلوا :

لماذا لم يتمم بناءها ؟ ، ولم يسكنها او يؤجرها ؟ بل أغلق بابها وتركها تعشعش فيها البوم ، وتسرح الهوام .

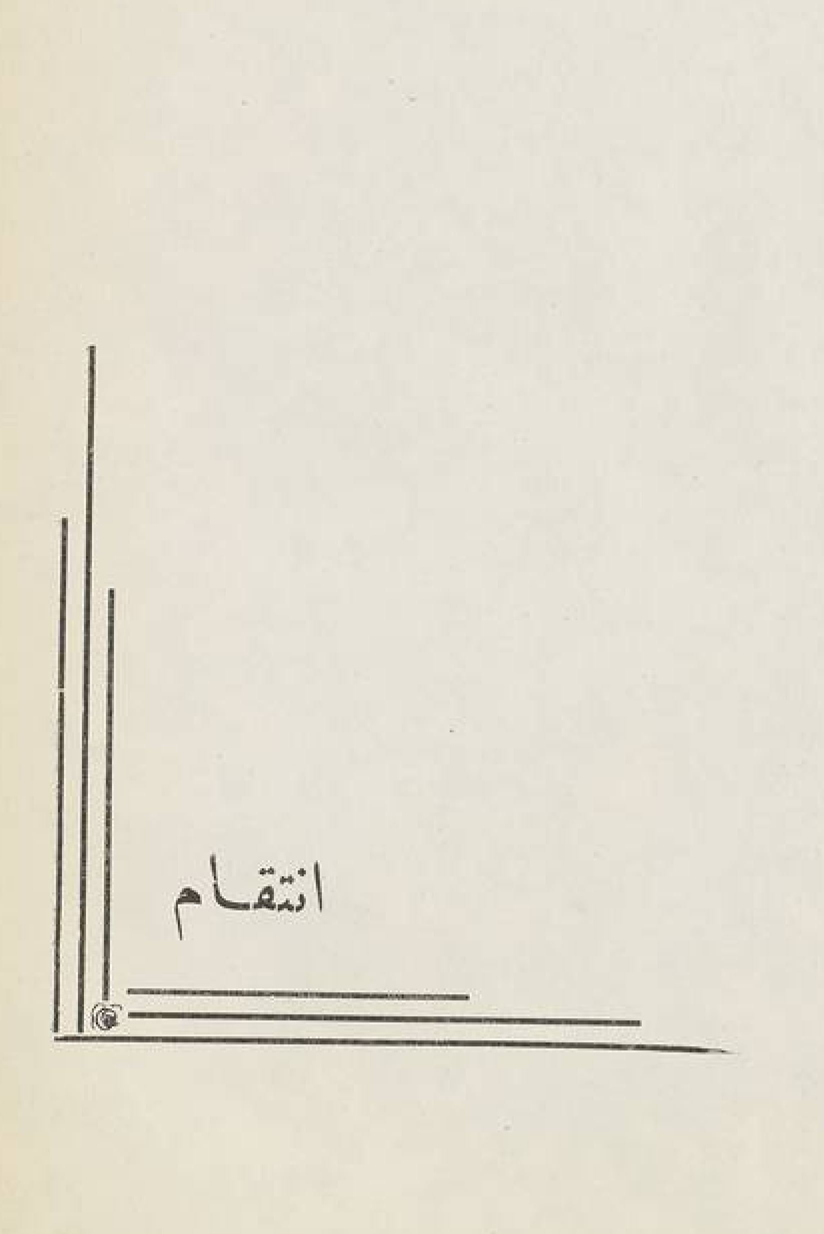
وعجب موظفو المحكمة الشرعية وتساءلوا :

لماذا تبدلت أحكام القاضي مهدي أفندي من اللين الى الشدة ، ومن الرحمة الى القسوة وخاصة مع النساء ؟؟

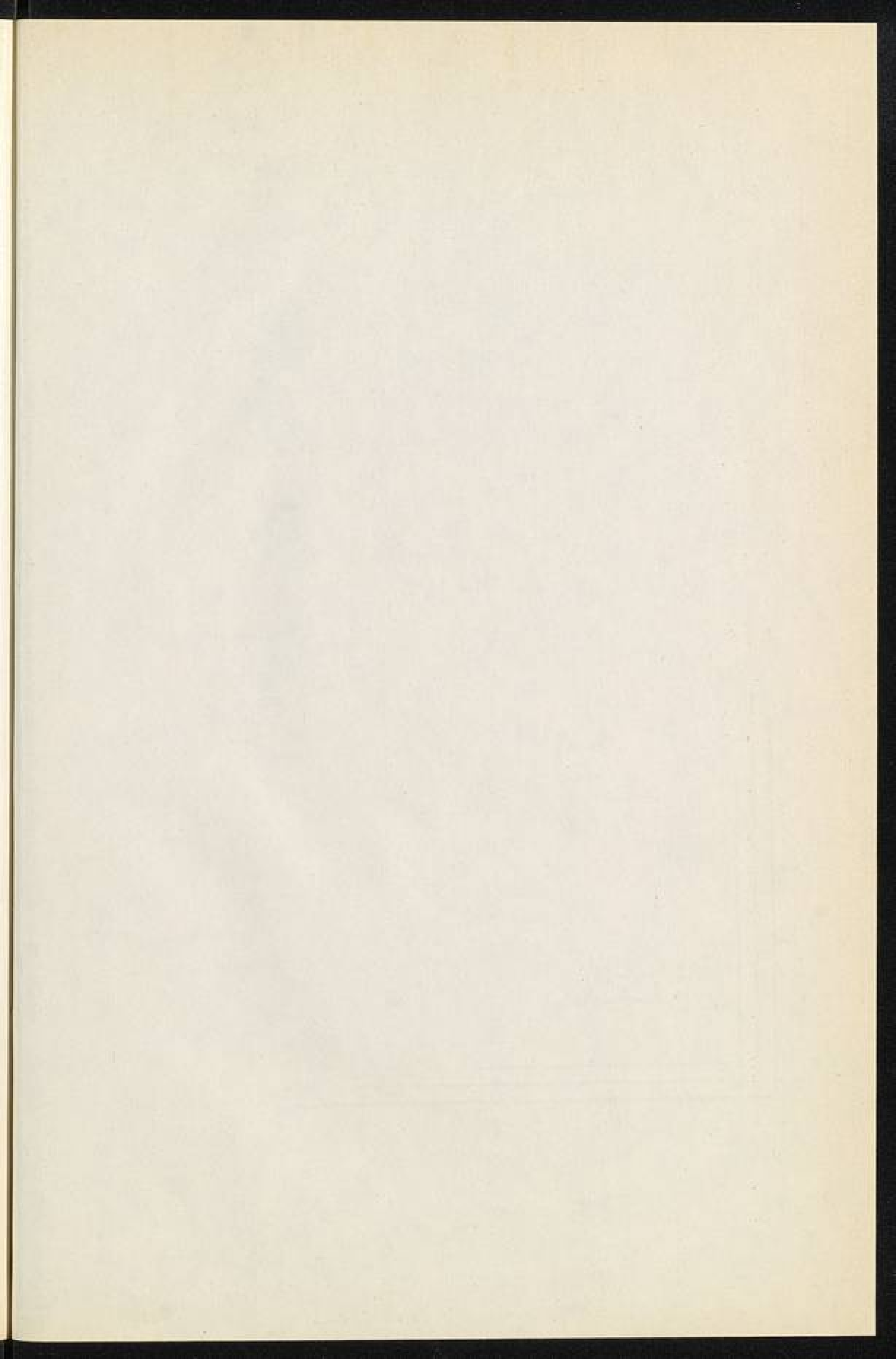
وعجب اصحاب مهدي أفندي وتساءلوا :

لماذا صدف مهدي أفندي عن مجالستهم ، وانطوى على نفسه ، وتحول من مراح ضحوك ، الى كئيب غضوب ؟

وما منهم من عرف أن مهدي أفندي **فشل بالحب فنقم على كل شيء** . ! !



انتقام



انتقام

منذ أنهيت دراستي الجامعية ، لم تجمعني الايام بصديقي منير . وكان ذلك منذ خمس سنوات خلت ، عندما غادرنا الجامعة كل الى بلده . ثم تركت المحاماة التي أعددت لها نفسي ، بعد أن فشلت فيها فشلا ذريعاً . وانصرفت الى التجـــارة ، وانغمست في خضمها ، وتصادقت مع زملاء لي من التجار . وكان من جراء ذلك أن تقطعت الاسباب بيني وبين كثيرين من أصدقائي وزملائي الجامعـيين . وكان منهم صديقي منير . وقد شاءت الصدف ان التقي به في ليلة من ليالي الشتاء في بلدة قصدتها لبعض أعمالي التجارية . وكان مقدمي ليلا . ولما لم أجد ما ألهو به أخذت أجوب الشوارع والاسواق ، إلى ان قادتني قدماي الى حانة كبيرة . وما كنت يوما من رواد الحانات ، ولا أدري ما الذي جذبني ليلئذ لدخول هـــذه الحـانة ؟ . فما وجدتني . إلا وأنا احتل احدى موائدها . وكان يجلس غير بعيد مني رجل يترع الكأس تلو الكأس بلا روية ، ولا هوادة . ثم رأيته يقوم مترنحاً ويمضي الى فتاة من فتيات الحانة تجالس شاباً أمام احدى الموائد ، فيداعبها بغلظة ، ويحاول أن يرغمها على الجلوس معه . وتأبى عليه الفتاة فيجذبها بقوة وعنف . ويثور الشاب الذي يجالسها على هذا الثمل العربيد ، ويجرب أن يصرفه بالحسنى ، ولكنه يتفوه بكلمات بزيئة تخرج الشاب عن طوره ، فيتناول كأساً من اقرب مائدة اليه ويحطمها على رأس السكير . فينبثق الدم غزيراً من جبهته ، ويقع على الارض فاقد الوعي . وتحدث في الحانة ضجة وجلبة ، ثم يسرع الخدم فيرفعون

الجريح عن الارض ويمرون به من أمامي فأعرف فيه صديقي (منيراً) .

ولم يخامرني أدنى شك أنه هو عندما قال أحد الخدم :

أفي كل ليلة يتحفنا الاستاذ منير بفصل من هذا النوع ؟ !

ورأيت من الوفاء أن أرافقه الى المستشفى ، وتركته هناك وهو لايعي شيئاً . وعدت إلى نزلي أحاول النوم فيمتنع عني لكثرة تفكيري بصديقي منير وبالمصير السيء الذي انتهى اليه . وترجع بي الذكرى الى أيام الجامعة ، يوم عرفت منيراً شاباً رزيناً هادىء الطباع ، يكاد أن يكون معصوماً عن ذلات الشباب ، بادىء النشاط والذكاء ، ويتمثل أمامي الآن سكيراً ، عربيداً ، يبدو هرما وهو لايزال في شرخ شبابه ، تلفظه الحانات ، ويتعوذ منه الخدم لكثرة عربدته . وما زال هذا حالي حتى اصبح الصباح فكنت أول من طرق باب المستشفى .

تلقاني منير بدهشة واستغراب ، ومادري أني أنا الذي جئت به البارحة الى المستشفي ، ولما عرف مني ذلك أسف أشد الأسف على هذه المصادفة الغريبة ثم قال :

- اظنك قد عجبت من حالي هذا .

- واشد العجب وماجئت لأطمئن عن جرحك فما هو بذي بال .

- هذا صحيح ياصاحبي . ولكن هناك جرح آخر لايرجى شفاؤه !

ما أسرع ما تشفي جراح الأجسام ، أما جراح النفوس فمن اين لها الشفاء ؟ !

- يجب ان لانيأس . فليس هناك جراح لايرجى شفاؤها .

- كأنك تريد ان تسمع قصتي . فاذا وعدتني بان لاتحاول نصحي وارشادي قصصتها عليك .

- إنه لشرط قاس .

- هو ذاك إذا أحببت ان تسمع القصة .

ـ مكره اخاك لا بطل .

فابتسم منير وقال :

ـ إني ياصديقي **انتقم** !!!

قلت دهشاً : **تنتقم** ؟؟ ..

ـ نعم ومن ابي ! فهو الذي شاء لي هذا المصير السيء . وضحك ضحكاً ساخراً ثم استوى في السرير وقال :

أظنك لاتجهل حبي لابنة خالي الهام . فلطالما حدثتك عنه أيام الجامعة . سمه عشقاً ،او هوساً، او جنوناً إن شئت . القصد انه ملك علي حواسي وشعوري وجعلني لاارى في هذه الدنيا سوى امرأة واحدة ، هي إلهام . لقد مضى عليّ في الجامعة ثلاث سنوات كنت خلالها سعيداً حقاً . وكنا نتبادل الرسائل فننعم في الاماني الحلوة ، والاحلام العذاب . ونمني النفس بزواج سعيد . فأنا وحيد أبوي كما تعلم ، ووالدي ينتظر زواجي لكي أنجب له من يرث ثروته الطائلة . فلما ودعت الجامعة وعدت الى اهلي وانا اطفح املا وبشراً . فاتحت ابوي في امر زواجي من إلهام ، فلم يمانعا ابداً . بل تلقته امي بكثير من الغبطة والانشراح ، وتلقاه ابي بشيء من التحفظ والفتور اثارا عجبي . واتفقنا إذا كان الغد ان نزف البشرى الى إلهام واهلها . فلما اصبح الصباح كان خبر خطبتي لالهام قد شاع بين خدمنا . فاذا خادم كهلة تدخل على امي صارخة مهوّلة قائلة :

ياللسخط السماء! أتزوجون منيراً بالهام ؟؟ أتزوجون الاخ بأخته ؟! إنهما اخوان . وقد ارضعتهما من ثدي واحد . الا تذكرين ذلك ؟. فبهتت امي وقالت :

لا اذكر شيئاً من هذا ابداً .

ولكن الخادم اللعين اكدت الأمر . وحلفت يميناً مغلظة انها ارضعتنا معاً ...

فوقع علي الخبر وقوع الصاعقة ، وضاقت الدنيا في عيني على رحبها . واخذت امي تخفف من المي بحنانها الفائض ، وبشعورها معي ، ومشاركتها إياي محنتي . واظهر ابي بعض الأسف . اما انا فصممت أن لاأعير هذا الامر اي اهمية . فأنا لا اشعر نحو إلهام شعور الاخ نحو اخته . ولما سمع ابي مني ذلك كبر عليه الأمر وهو التقي الورع . واتهمني بالمروق والالحاد . لاسيما واحكام الدين صريحة . فلم يسعني إلا ان ارضخ مرغماً .

واختلط علي الامر ، فلم اعد استطيع ان انظر الى إلهام كأخت ولا كحبيبة . واخذت افر منها واتحاشاها جهدي . فانطوت المسكينة على نفسها . والذي آلمني وحز في نفسي ان إلهام اخذت تشك في حبي لها ، واعتقدت اني كرهتها فدبرت هذه الحيلة لأتخلص منها ...

وكانت صدمة قاسية لها ، فاستسلمت ليأس قاتل ، واخذ شبابها يذوي ، إلى ان اختطفها الموت غصناً رطباً ! فحزنت وامي عليها اشد الحزن . ثم اخذت الايام تأسو جراحنا . الم نعتد ان نرضخ لحكم الاقدار ، ونرضى بظلمها مهما اشتطت وقست .

وبعد مضي عام وجد ابي مناسبة اقترح فيها زواجي من ابنة اخيه . إذ كان عمي قد مات عن ابنة وحيدة عاشت في كنف ابي ، وهو يرى في ابنة اخيه فتاة كاملة تصلح لي زوجة مثالية . ويكون بذلك قد ضم ثروته الى ثروة اخيه الطائلة .

اما انا فلم اشعر نحو هذا الزواج باية عاطفة ، بل تقبلته كشيء لابد منه . فأنا لا اطمع ابداً ان اجد فتاة تروقني ، ويهفو اليها قلبي كابنة خالي إلهام . فذكرها ماثلة في مخيلتي دائماً وابداً . واخذت الايام تمر رتيبة مليلة . والالفة تقربني من زوجي بعض الشيء . وخاصة بعد ان ماتت امي . فقد وجدت من حنانها وعطفها علي الشيء الكثير . فهي يشهد الله طيبة القلب ، حسنة الخلق ،

حلوة المعشر .

الى ان جاء يوم كانت تلك الخادم اللعين التي ادعت انها ارضعتني والهام ، ترتقي سلماً لتنظف احدى النوافذ ، فيهوي بها السلم وتقع على الارض فتنكسر يمينها . وكنت اقف بالقرب منها ، فأسرع لاسعافها رغم بغضي الشديد لها ، فاذا الألم البالغ يخرجها عن طورها فتعترف لي قائلة :

لقد انتقم الله مني ياسيدي فكسرت يميني . لأنني حلفت يميناً كاذبة فحرمتكما من بعضكما . ولكن ماذنبي انا ؟ إنه ابوك الذي اغراني بالنقود ، فأوقعني في هذا الاثم ليزوجك من ابنة اخيه ..

لا يمكنني ياصديقي ان اصف لك شعوري نحو ابي عند ذاك . لقد شعرت بالخزي والعار من فعلته الشنعاء . وحقدت عليه حقداً بليغاً . وكرهت العيش معه ففكرت بالانتحار . ولكنني آثرت هذا الموت البطيء فلجأت الى الخمر أعب منها كما رأيتني بلا روية ، فهي وحدها التي تستطيع ان ترفه عني . واندفعت في طريق الغواية بلا هوادة حتى انتهيت الى ماتراني عليه الآن . وكلما رأيت علائم الكدر بادية على وجه ابي شعرت بلذة **الانتقام** والتشفي . وسوف لا اجعله ينعم برؤية النسل الصالح ابداً .

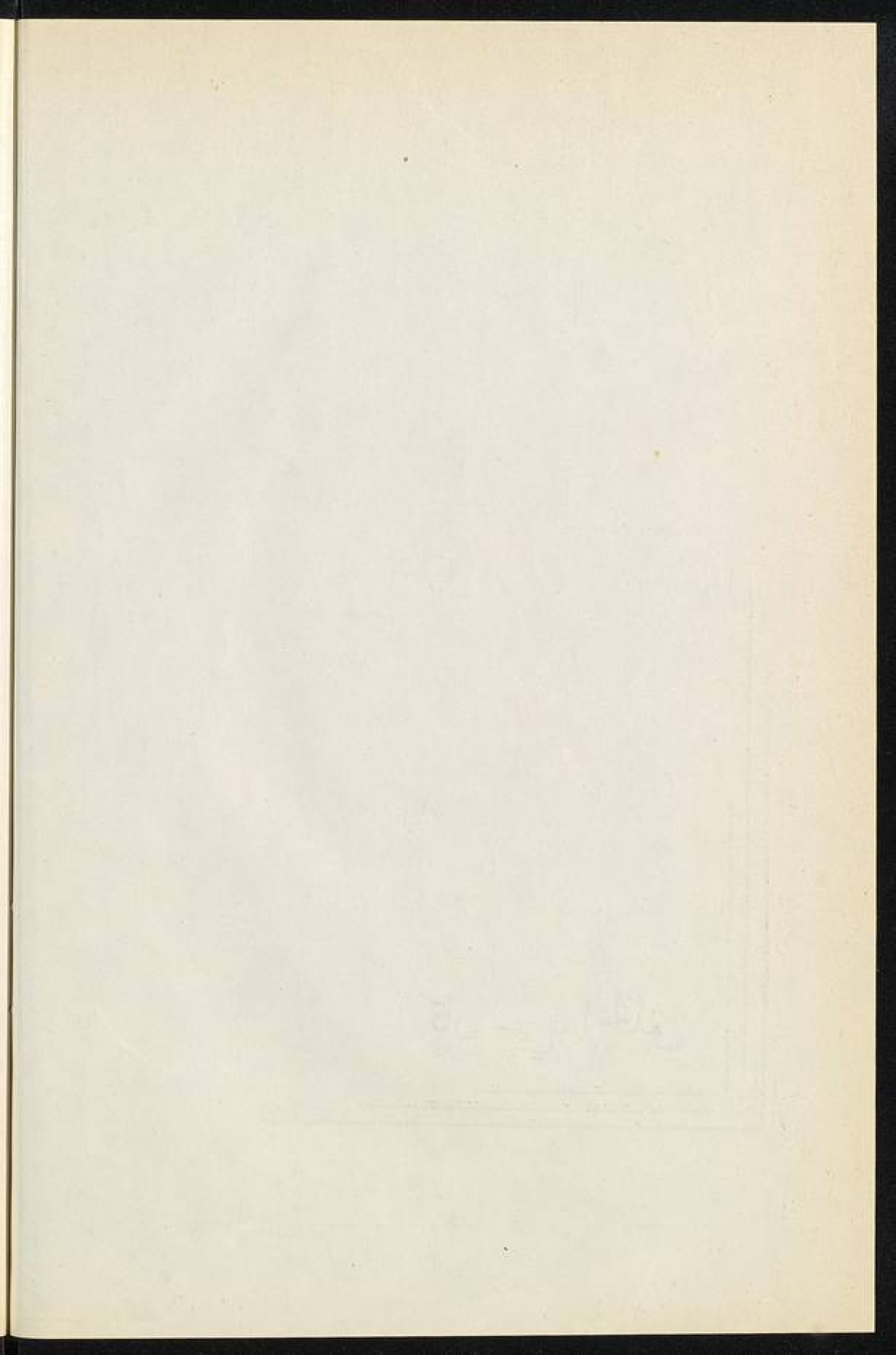
أرأيت ياصديقي كيف مسني الضر من حيث رجوت الخير والبر .

وكان صديقي منير بارعا في تحويل الاحاديث فما وجدتني الا وانا اخوض معه في احاديث شتى لا تمت الى قصته المؤلمة بصلة .

ولما حان موعد انصرافي ، ودعته بحرارة . وكأنني شعرت انه الوداع الاخير وابتسم صديقي ابتسامة ساخرة عندما رأى الدموع حيارى في مقلتي .



كان سيء الخلق



كان سيئ الخلق

كان الهدوء يشمل الغرفة الانيقة ذات الارائك المغلفة بالسجاد العجمي الفاخر وقد اتكأ على احداها سليم بك ملتفاً بردائه الفضفاض ، يدخن لاهياً وهو يقرأ في مجلة مصورة ، فاذا سئم القراءة أزاح نظارتيه عن عينيه ونظر يميناً من النافذة العريضة ليسرح بصره بعيداً بعيداً في مشهد لا تمله العين ، ولا تزهد فيه النفس، حيث دمشق قد انبسطت وادعة بمآذنها الرشيقة ، وقبابها الضخمة ، وقد أحاطت بها اشجار خلف اشجار ، وفي افقها البعيد لاحت جبال زرق محدودبات كالتلال .

فاذا اكفهر الجو كما كان في ذلك اليوم بدت الجبال في الافق البعيد كقطع غيم كبيرة دكناء ، هبطت من السماء فاتصلت بالارض .

وقد جلست زوج سليم بك على الاريكة المقابلة جادة في حياكة ثوب صغير من الصوف لتقدمه هدية لحفيدتها في عيد ميلادها .

وبينما سليم بك يقلب المجلة إذ وقع نظره على صورة امرأة جميلة وضعت للاعلان عن عطر جديد فاخر . وكانت الصورة تشبه زوجه في صباها كل الشبه فأزاح نظارتيه عن عينيه وتأمل زوجه ملياً ثم قال بنغمة ممطوطة :

الله ! الله ! يازمن ! ...

فرفعت رأسها ونظرت اليه مستفهمة . فقال لها :

لشد ماغيرتك الايام ! كنت في صباك كهذه تماما . وأراها الصورة . فتناولتها من يده وتفرست فيها مليا ثم قالت :

ومن لم تغيره الايام ؟ ألم تغيرك انت ؟ كم أود لو آتيك بمرآة لاريك وجهك كم يبدو رائعاً تحت طاقية الصوف التي تدلت حتى شحمتي اذنيك .

فأجابها وقد لاحت على فمه ابتسامة ساخرة :

ولكن ليس هناك مايؤسف عليه . لانني ما كنت جميلا ولا في يوم من الايام اما انت . . . فمن كان يصدق ان شعرك الفاحم سيغدو هكذا ناصع البياض ، وان بشرتك الناعمة الموردة ستصبح يوما ما كامدة مجعدة .؟

فصمتت برهة ثم قالت :

ولكني لا انكر على الايام التي نالت من جمالي ، انها حسنت خلقك كثيراً . لكم كنت في **شبابك سيء الخلق** . ولكم تساءلت كيف استطعت احتمالك . فما كنت والله لتحتمل .

فاجابها على الفور :

ولكنك لاتنكرين ان شيخوختنا سلام ووئام . فمن يدري ؟ لعله كان بين جمالك وسوء خلقي علاقة ... والدليل على ذلك انهما ذهبا بعضهما .

قالت : تعساً لها من علاقة ! أهذا كل ماجنيته من جمالي ؟ وهاهو ذا قد ولى وكأن لم يكن !! .

وكأنه اراد ان يرفه عنها قليلا فقال لها :

ولكني لن انساه. فما زلت أذكر كما ترين شعرك الفاحم ، وبشرتك الموردة .

قالت : وانا كذلك مازلت أذكر تصرفك السيء معي فصلا فصلا . وإني انسى لاانسى يوم حرمتني من عرس ابن عمي . أتذكر تلك الليلة اللعينة ؟!

قال : وكيف لاأذكرها ؟ ليلة ارتديت ذلك الثوب الازرق الذي يكشف عن ذراعيك ، وصدرك البراق ، ونصف ظهرك المصقول . لقد بدوت فيه والله ليلتئذ كحوريات الجنان .

قالت : ومع ذلك لم تشفق على حورية الجنة ! بل تركتها تبكي طوال الليل .

كنت حينما ظهرت امامك بالثوب الرائع حسبتك ستؤخـــذ بجمالي ، فاذا وجهك يكفهر . ووإذا أنت تقول لي بحدة :

انا لاأسمح ابداً ان تظهرى في الحفلة هكذا كنصف عارية . ولما اصررت على الذهاب هجمت علي واخـذت تمزق الثوب وهو على جسمي إربا إربا . حتى جعلته كومة على الارض . وانا اكاد اجن ، وانت لاترحم جزعي . لله ما كان اقساك .

قال : لقد مضى على هذا الحادث ثلاثون عاما . ووالله العظيم لو احصيت المرات التي ذكرته فيها لأربت على المئات . ولو عرفت السبب لعذرتني .

قالت : ومن كان يمنعك عن ذكر هذا السبب الخطير ؟؟

قال : كانت تمنعني كبرياء الشباب ، كنت اربأ بنفسي ان اظهر امامك بمظهر المـــدله الغيور . وهاهي ذي الايام تذهب بالشباب وبكبريائه فيما ذهبت ، ولذا تجدينني ابوح لك بالسبب غير مبال :

لقد كنت ادرك اعجابك بابن عمك ، وافتتانه بك ، وكم كنت تتأنقين امامه ولاحظت انك بدأت تستعدين لحفلة العرس قبل موعدها بكثير . واظنك قـــد بذلت حينئذ من الجهد في سبيل تجميل نفسك اكثر ممـا بذلت العروس نفسها . لتفوزى عليها وتحتفظي بمكانتك في قلب ابن عمك . وما كنت من البلاهة لأدعك تحققين مأربك . الم اكن على حق في تمزيق الثوب الذي دفعت ثمنه باهظاً ؟؟

اجابته بحماسة :

اعوذ بالله منك ؛ من اين لك هذه الفكرة الخاطئة ؟ !

وكيف سمحت لنفسك ان تفكر فيها ؟ ؟ .

لقد كنت والله واهما . وكم عكـرت اوهامك حياتنا !!

وقالت في نفسها :

ياله من ذكي قارح ! وكم اتعبني ذكاؤه ودهاؤه .. لعله كان يدرك مايجول في

خاطري قبل ان ادركه انا .

ثم عاد فقال لها :

مهما غيرت الايام ياعزيزتي من شكل المرأة فهي لاتقوي ابدا على تغير طباعها فهيهات ان تعترف بالواقع . او ان تبوح باسرار قلبها ولو بعد حين .

وكأنما ارادت تغير مجرى الحديث فيما يختص بابن عمها فقالت له :

ها انت ذا قد وجدت مبرراً لتصرفك يومئذ . ولكن هناك مواقف كثيرة لادخل لابن عمي فيها فما عذرك عنها ؟

قال : اذكري لي واحدا منها .

قالت : لقد نسيتها .

قال : انت تنسين ؟ اعوذ بالله . ان لك لذاكرة عجيبة تحفظ الشر وتنسى الخير ! .

قالت : الخير ؟ ؟ .. وهل هناك خير لاذكره ؟

ثم اردفت قائلة : ها انا ذا قد تذكرت واحداً منها :

يوم ام دمشق لاول مرة ذلك المغني المصري الشهير ، واخذ الناس يتهافتون على سماعه . وذهبت انت مع الذاهبين . ولما عدت من الحفلة كنت تلهج معجبا بصوته الجميل . ثم قدمت لي تذكرة من تذاكر الصفوف الامامية لاحضر في الغد الحفلة التي سيحييها للسيدات . وكم افرحتني لفتتك الرقيقة يومئذ . ولما حان موعد الحفلة عدت إلي تقول :

ان خالتك مريضة ، ومن الخير ان ادع الحفلة واذهب معك لعيادتها . ولما ابيت عليك ذلك ، احتدمت غيظاً ، وتناولت التذكرة فمزقتها إربا إربا ، وصفقت الباب وذهبت وتركتني وحدي اندب سوء حظي . كم كنت اخشاك . لماذا لم اشتر تذكرة غيرها ولمَ لم اذهب على ارغم منك لأرى ماذا كنت تصنع؟

يالني من غبية بليدة !

فأجابها هازئا:

وهل تجدينني ايضا مسؤولا عن غباوتك وبلادتك؟

واذكر انـه كان لتصرفي آنئذ مبرر ايضا . فما كدت اقدم اليك التذكرة حتى بان الفرح على وجهك ، ثم قمت الى المرآة فحللت شعرك ، ثم بللتـه ، ثم فرقته خصلا ، ثم اتيت بخرق بالية لم ادر من اين لمتهـا ثم اخذت تكورين كل خصلة وحدها ، وتربطينها بالخرقة ، حتى إذا فككتها بالغد اصبح شعرك مجعدا . فصار رأسك عجيب الشكل . وجلست امامي طول السهرة تؤذين بصري بمنظرك البشع . فسكت على مضض . ولما كان الغد وعدت من عملي . كانت الخرق مازالت على رأسك ، فانت لاتفكينها الا قبل موعد الحفلة بدقائق . وزيادة على ذلك طليت وجهك بمعجون اصفر كريه الرائحة من خصائصه ان يضفي على البشرة رونقـا عند ازالته .

فتساءلت في نفسي : اذاهبة هي لتسمع الغناء وتطرب له ، ام لتظهر جمالها ؟

وتذكرت انك مدحت مرة امامي شكل المغني المصري ، وشعره الكثيف . وفوديه الطويلين اللذين يقلد بهما فناني الغرب . وفطنت ايضا انك كنت حريصة على جمع اسطواناته وخاصة ماندر منها مها غلا ثمنه ، فوسوس لي الشيطان وكان مني ما كان .

فقالت في نفسها :

اما الآن فقد اخطأ التقدير فوالله ماشغلت بالمغنى ابداً . ومـا تأنقت الا لأني نويت ان انصرف من الحفلة باكراً فأزور ابن عمي . ولكنها قالت له :

اعطيك كل الحق لغيرتك منه ، فانا اهوى الاصوات الجميلة وصوتك اجش منكر . واعجب بالشعر الكثيف ، وانت اصلع من يوم عرفتك .

قال ضاحكا :

من يوم عرفتني ؟ انا والله نسيت متى بدأت افقد شعري ! ..

قالت له بسخرية لاذعة :

اغلب ظني انك ولدت اصلع ! .. وعشت اصلع ! .. وستموت اصلع ! .

فاجابها : انت اليوم لاتكفين عن سخريتك مني . ولكني اتقبل منك كل شيء مادمت قد اعطيتني الحق ولو مرة واحدة في العمر . واعـــترفت لي ببعض مايجول في نفسك . ولكن وقد مضى مامضى . دعيني اسألك بالله وقد عهدتـك رفيعة الذوق . ماالذي اعجبك بهذا المغني السمج البارد الذي لولا صوته لايساوي شيئـا ؟

قالت : إنه والله كما تقول تماما ، وانا نفسي غـــيرت رأيي فيه لاسيما عندما رأيته يمثل رواية سينمائية .

ثم قال لها وقد تملكه زهو واعتزاز :

ارأيت ياعزيزتي ان مكر النساء الذي يجوز على غـيري من الرجال ما كان ليجوز علي ابدا ..

فاجابته وقد جهدت في اخفاء ابتسامة طفرت على شفتيها :

طبعا ! ... وكيف يجوز على من كان في مثل ذكائك ودهائك ؟؟

ان الزوج الذي يكون على شاكلتك تكون زوجه دائما عاثرة الحظ .

قال متأففاً :

قد تنتهي الحياة ولا تنتهين انت من ندب حظك !

وقال في نفسه :

انها والله طيبة . لاتشبه غيرها من النساء . وقد ظلمتها باتهامها بابن عمهـا . وهاهي ذي قد اعترفت لي صراحة عن اعجابها بالفنان المصري ثم عن تغيرها رأيهـا فيه .

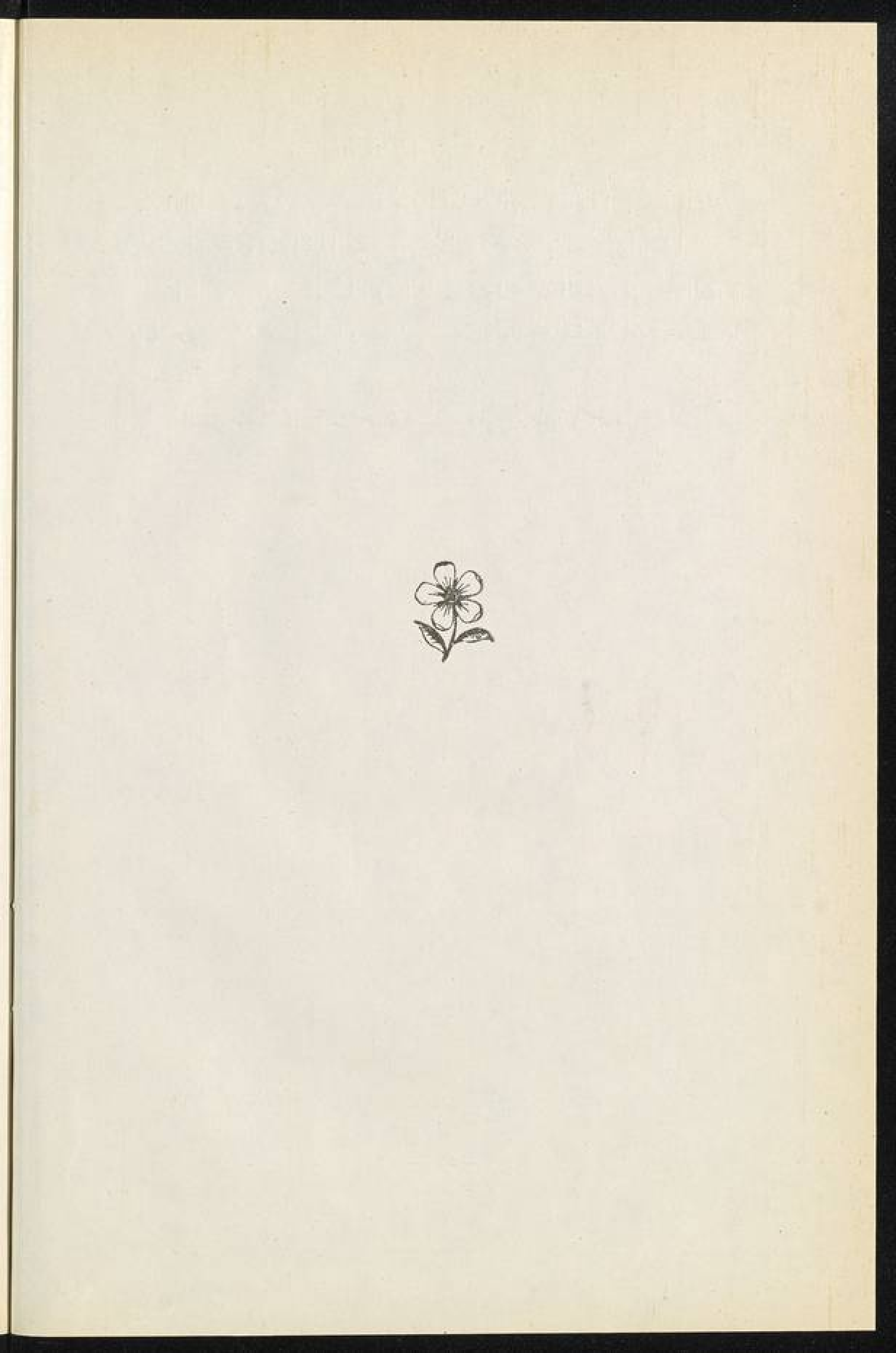
ثم عاد فتناول المجلة ، ووقع بصره مرة ثانية على عنوان العطر فقال :

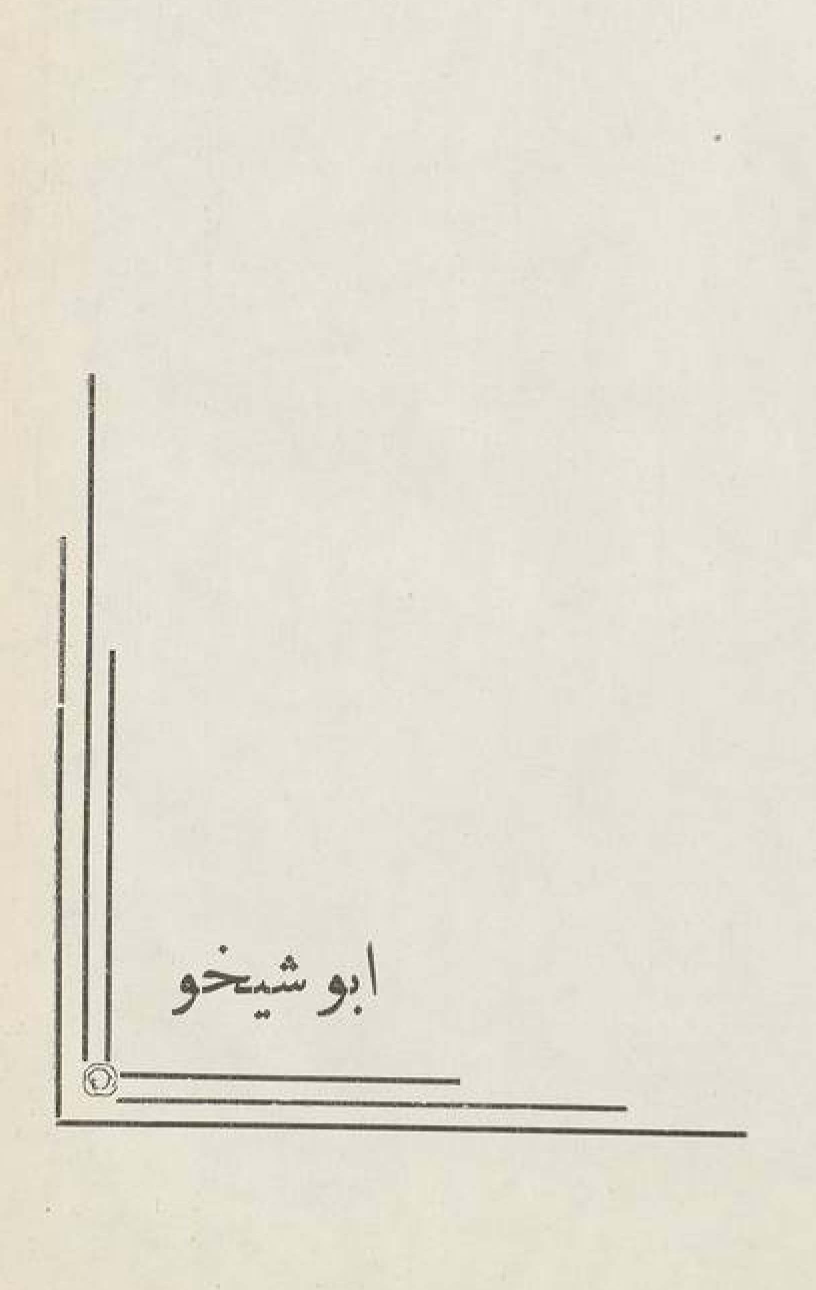
تباً لهذه الصورة لقد نبشت بيننا ما كان مدفوناً ! ثم اشعل لفافة ، ونظر

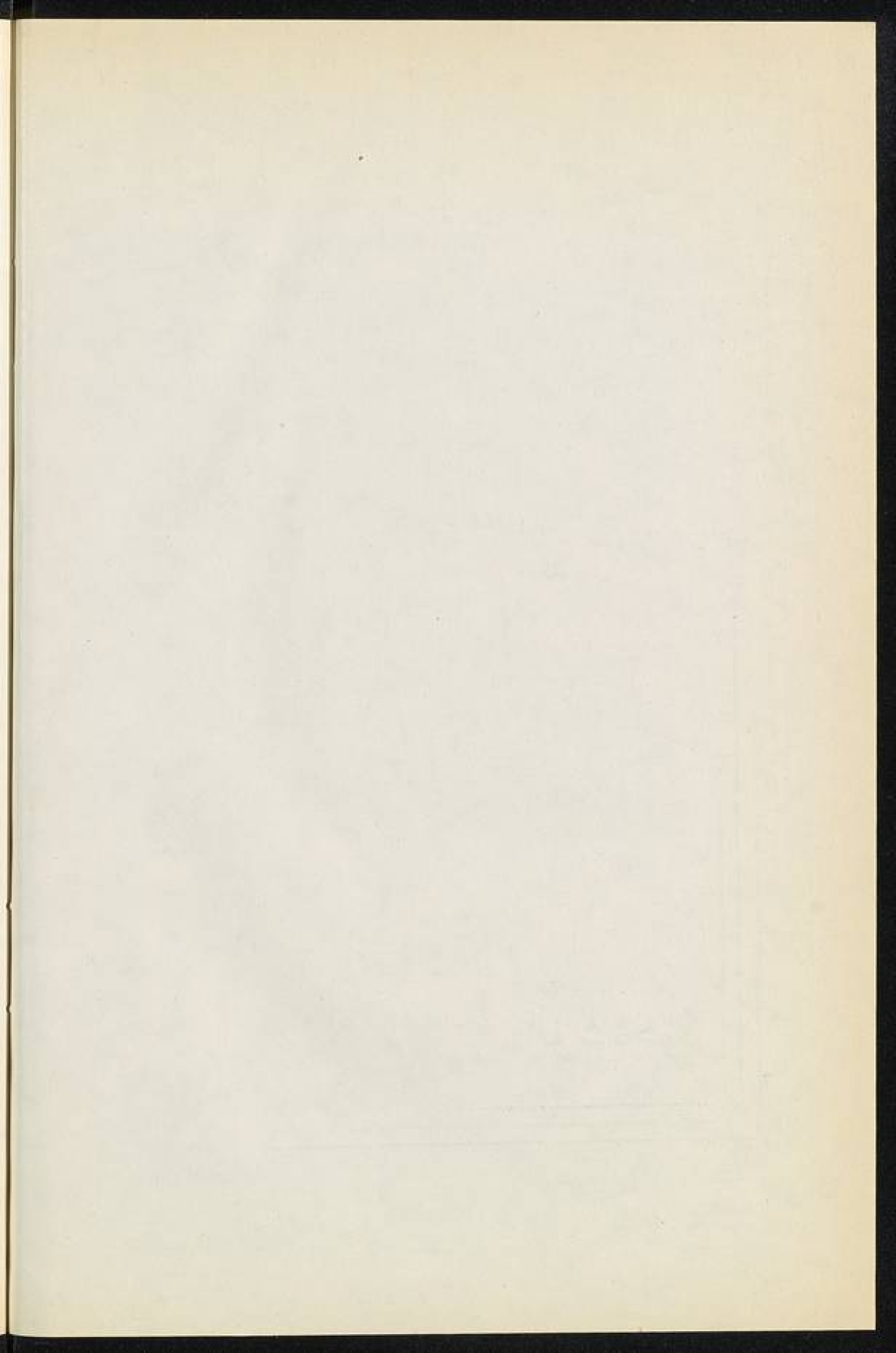
من النافذة العريضة فسرح بصره بعيدا بعيدا في المدينة الخالدة التي تحوطها اشجار خلف اشجار ، وفي افقها البعيد تلوح جبال زرق محدودبات كالتلال .

وعادت هي الى حيا كتها . ولما انحنت لتتناول كبة الصوف من على الطاولة الصغيرة التي امامها ، بدا وجهها على صفحتها المعدنية المصقولة كامداً مجعدا فتمتمت بلوعة :

ياليتني ظللت كما كنت جميلة فاتنة ، ولو انه ظل كما كان سيء الخلق ..




ابو شيخو



أبو شيخو

في قريه صغيرة قائمة على سفح جبل الشيخ ، يغمرها الثلج طول الشتاء ، ويتوج قمم جبالهامدى الصيف ، كان يقيم ابوشيخو الرجل المعمر الذى لايستطيع أحد أن يقدر عمره ولو على وجه التقريب ، أما هوفيؤكد لصحابه أنه اشترك في جرب الموسكوف الى جانب الجيش العثماني ، ويروي الأعاجيب عن بطولته وبلائه في تلك الحرب .

وأبو شيخو في قريته مضرب المثل بقوة الايمان ، والصبر على المكاره ، فلم تستطع المصائب التي توالت عليه أن تهد من كيانه ، أو تنال من بأسه . وهو يعيش في بيته بمفرده ، فقد أضرب عن الزواج منذ عشرين سنة عندما توفيت زوجه الثالثة في ريعان الصبا . ثم أخذ الموت يختطف اولاده الكثر الواحد تلو الآخر ، ولم يبق له سوي ابنة واحدة هاجرت مع زوجها الى الديار الامريكية . ويتحدث سكان القرية بشيء من الاعجاب والحسد عن النجاح الباهر الذي اصابه زوجها هنالك . وهي ترسل لأبيها من حين لآخر شيئاً من المال يقيه شر العوز ، ويعفيه من العمل المضني في شيخوخته المرهقة . وقد اتخذ فلاحو القرية من دار أبي شيخو الفسيحة ندوة قلما تخلو من السمار .

وأبو شخو أميل الى الصمت منه إلى الكلام ، يجيد الاصغاء كما يجيد الحديث . ولكنه إذا تحدث ، تحدث بروية وأناة ، عن كل غريب عجيب حتى يأسر مستمعيه ويملك عليهم حواسهم فلا يحيدون عنه طرفة عين .

وفي أمسية من أماسي الربيع المقمرة ، جاء مختار القرية الى ندوة أبي شيخو ومعه رجل غريب ، كانت تعطلت به سيارته فلجأ الى دار المختار يمضي ليلته تلك ، وأراد المختار أن يرفه عنه فأتى به الى الندوة ، حيث هي خير ما في القريـة .

ولعل أبا شيخو أراد أيضاً أن يرفه عن ضيفه الغريب بقصة طريفة فقال بعد أن أوما إلى احدى الصبايا ان تدير فناجين القهوة !

سأروي لكم الليلة حادثا لم أر له مثيلا في حياتي . وأنتم تعلمون أن حياتي حافلة بأشكال وألوان من الحوادث ، فيها المفرح ،المحزن ، والمخيف والمضحك فلشد ما رأيت وسمعت وجربت في حلي وترحالي . ولكنني لم أشاهد ، ولم أسمع حادثا كالذي مر بي البارحة في قريتنا هذه .

في قريتنا هذه ؟ ؟ تمتم الفلاحون دهشين . ومن أين لقريتهم بالحوادث العجيبة والحياة تسير فيها من أمد بعيد على وتيرة واحـــدة لاتغير ولا تبديل .

نعم . قال أبو شيخو . وفي صوته كثير من الحزم والتأكيد . كان ذلـــك البارحة بعد صلاة العشاء ، وتذكرون ان عاصفة شديدة هبت في ذلك الحين ، فآثرت الصلاة في داري ثم أخذت أصطلي ، وأسبح الله في هدوء واطمئنان . فاذا أنا أسمع صوتاً يستغيث بي وكأنه صادر من بئر عميقة :

أبا شيخو ! أبا شيخو ! اليَّ ... اليَّ ...

فظنتني بادىء ذي بدء واهماً ، وإن الصوت الذي أسمعه ماهو الا عواء بنات آوى ، أو عويل الرياح قد شبه لي . ولكن النداء عاد مرة ثانية ، وإن لم يكن واضحاً تماماً فهو صوت بشري مامن شك في ذلك ولا شبهة . وها هوذا يناديني أنا وحدي ، فلا يوجد غير بيتي في تلك الناحية . وتملكتني حيرة شديدة لأنني لم أستطع أن أعين جهة الصوت ، فكل مرة كان يأتيني من جهة . إذا وليت

وجهي نحو الموقد سمعته في زفير النار .

وإذا أصخت سمعي نحو النافذة تناهى الي" في هدير المياه ، وزمجرة الرياح ، وعويل العاصفة .

أبا شيخو ! . أبا شيخو . الي" ... الي" . .

فأقشعر جسمي ، وأخذ قلبي يضرب بقوة وعنف . وكأن قوة خفية أهابت بي أن قم ... الى متى التردد ؟ أين مروءتك ورجولتك ؟ هل ذهبت بها الشيخوخة ؟ قلت : معاذ الله أن يذهب بهما شيء وبي رمق . وأخذت هراوتي ، والتففت بعباءتي ، ولما فتحت الباب واجهني بحر من الظلمات ، وصفعتني ريح باردة ، وأخذ يضرب وجهي رزاز من المطر . ولكني سرت كالسهم .. وكأن قوة خفية تدفعني إلى جهة معينة . وفي مثل لمح البصر وجدتني عند تل العنيزات الذي يبعد عن بيتي كثيراً كما تعلمون ، وتفصلني عنه طريق وعرة . لا أدري والله كيف قطعتها . وهناك سمعت الصوت جلياً واضحاً صادراً عن أعلى التل .

أبا شيخو الي الي فقلت : لبيك ... ها أناذا قد أتيت ...

وارتقيت التل بسرعة عجيبة لم أعهدها بنفسي منذ كنت شاباً . كأن في رجلي عجلتين . وكانت عيناي قد اعتادتا العتمة فرأيت على ضوء النجوم شيئاً أسود ينسل وينحدر من الجهة المواجهة لي ولم ألبث أن عرفت انه ضبع من صوت مخالبه التي كانت تحتك بالأرض أثناء سيره فتحدث صوتاً معروفاً لدي . والتفت يميناً فاذا كومة سوداء ، تفرست فيها فرأيت رجلا مبهور الأنفاس ، قد عقد الخوف لسانه ، فلم أكثر عليه بل أخذت بيده ، فسار معي ، وكم كانت الطريق بعيدة ووعرة . فلما دخلنا بيتي أجلسته قرب الموقد ، وسقيته فنجاناً من القهوة حتى سرى عنه ، وعاد اليه وعيه . فأخذ يقبل يدي ، ورجلي ويقول لي :

لقد أرسلك الله لانقاذي . أولي" أنت من أوليائه ، أم ملك كريم؟ ..

قلت دهشاً :

بل رجل مثلك استغثت بي فأغثتك .

فاستغرب ذلك وقال :

أنا لم أستغث بأحد ، ولا أعرفك ...

فوقعت في حيرة . ثم سألته :

من انت ؟ وكيف حصل لك ذلك ؟ قال :

أنا رجل من الاكراد ، كنت أجد السير لكي أبلغ القرية المجاورة قبل أن يهبط الليل . ولكن العاصفة والمطر أعاقا مسيري فداهمتني الظلمة ، وبينما كنت أسير إذا شيء يدفعني من الخلف فأقع على الأرض ، وما كدت أقف وأسير بضع خطوات حتى عاد الشيء ودفعني مرة ثانية وثالثة وهكذا دواليك عدة مرات ... ولما تنبهت لأمري تبينت وحشاً يدفعني ثم يختفي في الظلمة ، ولم ألبث ان ذهلت واستولى عليّ الخوف والاضطراب فأخذت أتبع الوحش على غير هـدى حتى ارتقينا التل . فلما صرنا في أعلاه أبصرت ضوءك من بعيد ، وكأنما الضوء قد نبهني من ذهولي ، فتوقفت عن السير ، وجلست على الأرض . فأقعى الوحش أمامي ، وأخذ يتثائب فتخرج من فمه رائحة كريهة تخدر أعصابي فـلا أستطيع حراكاً .

وعندها خطرت لي قصة كان والدي يرددها أمامنا كثيراً كان يسير مرة في ضوء القمر ، فرأى عن بعد وحشاً يرتقي جبلاً يتبعه رجل مضطرب السير . فعرف أن الرجل مضبوع [1] . فأخذ يغذ السير حتى أدركه وأنقذه من

---

(١) المضبوع : الشخص الذي يتبع الضبع . حيث يعتقد الفلاحون في أرياف سورية أن الضبع إذا داهم شخصاً في الليل بمفرده ، يأتيـه من الخلف ويدفعه حتى يقع على الارض . فاذا استوى قائماً وعاود سيره عاد اليه ودفعه مرة ثانية وثالثة وهكذا حتى يصاب الشخص بالذهول فيتبع الضبع عن غـير وعي منه الى كهفه حيث يفترسه هناك بهدوء واطمئنان .

الوحش الماكر . ولا أدري لماذا ناديت أبي عندما خطرت لي هذه القصة . ناديته باسمه عدة مرات فاذا أنت "تردعلي" النداء . . .

قلت : وما اسم أبيك .

قال : اسم ابي **شيخو . . .**

فلم أملك أيها الاخوان ان سجدت للواحد القهار وقلت للشاب :

أنا الرجل الذي أنقذني أبوك . . . وقد كنيت نفسي باسمه لكي أذكر دائماً أبداً اسم من أنقذني من ميتة شنيعة . فنظر الي" الشاب مأخوذاً . ثم مد يده الى جيبه فأخرج علبة تبغ صغيرة . وقال لي أتعرف هذه ؟

قلت : وكيف لا أعرفها ؟ ؟ انها والله علبتي وقد أهديتها لأبيك اعترافاً بجميله ، ولم أكن يومئذ أملك غيرها .

قال الشاب : وأنا أيضاً لا أملك غيرها الآن !! فدعني أعيدها اليك كذكرى لهذا الحادث العجيب .

وأخرج أبو شيخو من جيبه علبة صغيرة من معدن لماع تناولها الفلاحون من يده وأخذوا يقلبونها بأيديهم . وسرت في الجمع همهمة ، هذا يوحد الله ، وذاك يسبحه . ثم قالت زوجة المختار :

أظن أن بنات الجن كن يناديك لتنقذ الفتى .

فرد عليها زوجها قائلاً :

يالك من خرفة !.. متى كانت بنات الجن يفعلن الخير ؟ قولي ملائكة الرحمن فضحك الجميع . ولكن أبا شيخو هز رأسه وقال جاداً :

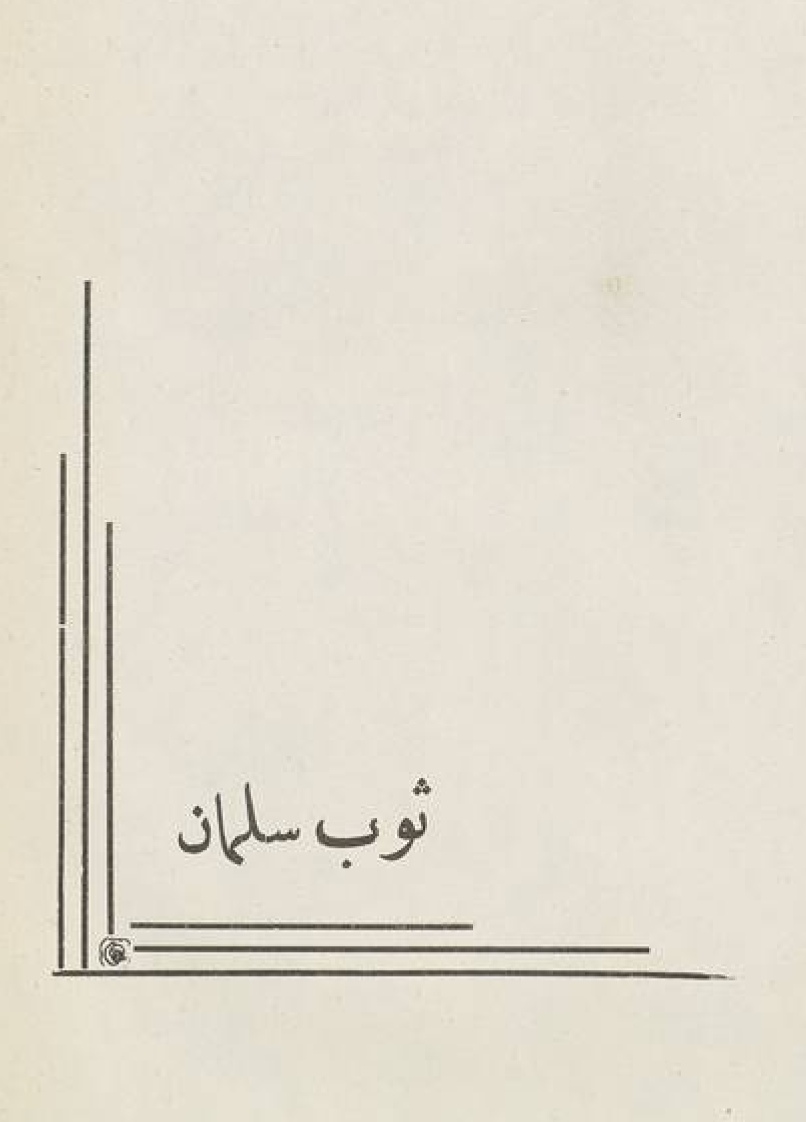
والله لا بنات الجن ولا ملائكة الرحمن ، إنها روح شيخو فاعل الخير ، وصاحب المروءة كانت تهيب بي وتناديني : ان قم ايها الرجل انقذ ابني . كما انقذتك . . .

فقال قائل منهم :

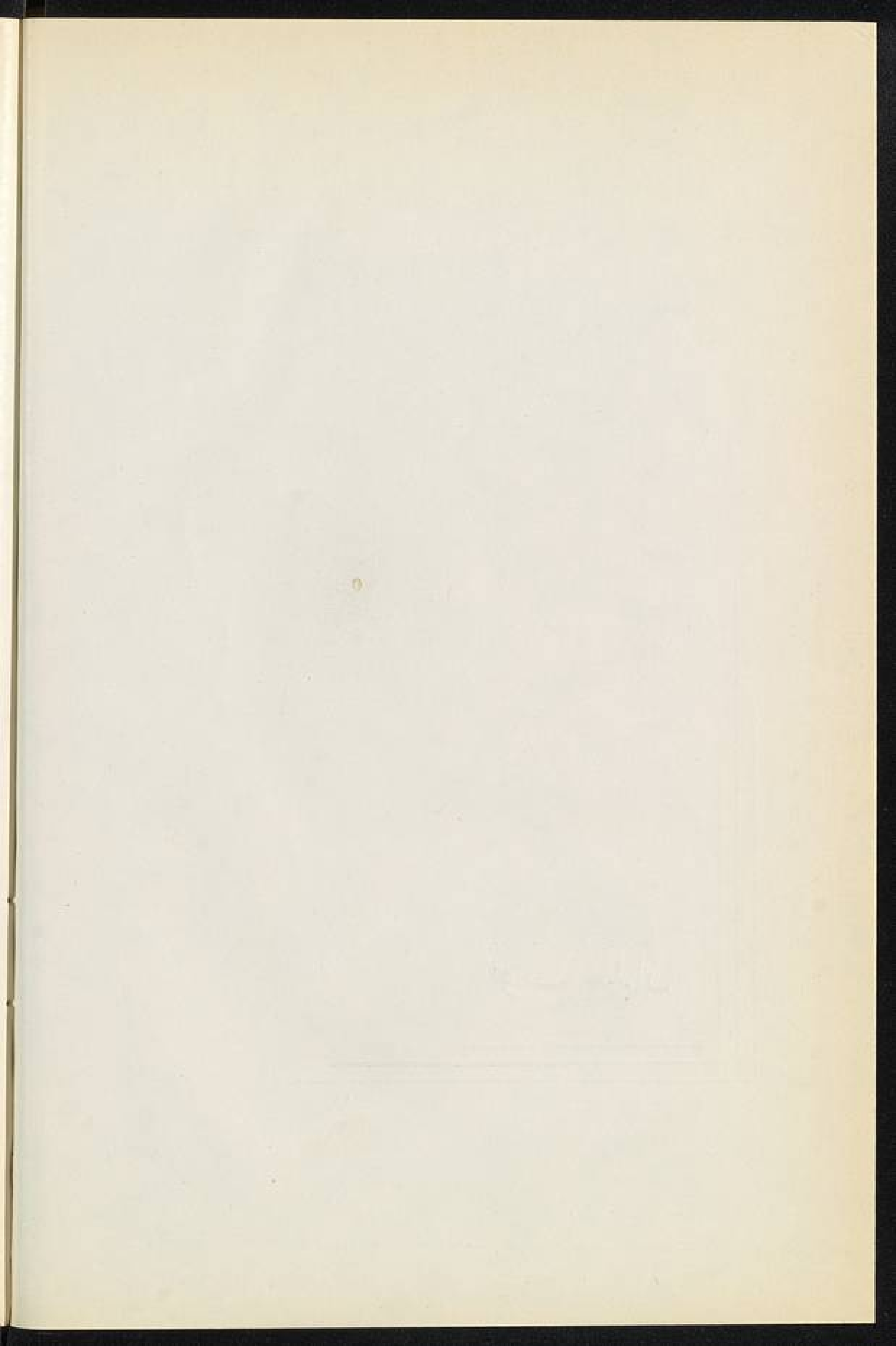
افعل الخير وارمه بالبحر . وانم آخر ان لم يشعر مع الناس أشعر مع الله .

اما الرجل الغريب فكان يصغي الى حديث أبي شيخو مأخوذاً بجاذبه ويقول في نفسه :

أمن صميم الواقع هذه القصة أم من نسيج الخيال ؟؟ وحيث كان الامر فأبو شيخو محدث بارع ، وذو خيال واسع ، وذكي لامع . ولكن ياللخسارة لقد ولد في الفقر حيث تثبط الهمم وتدفن المواهب !!!



ثوب سلمان



ثوب سماوي

كانت سعاد تطالع باعجاب وامعان الرواية الأخيرة التي ألفها زوجها ، والتي حازت نجاحا باهراً رفع مؤلفها الأديب الناشيء سامي الى مصاف الأدباء الكبار .

ولفت نظر سعاد بصورة خاصة الوصف الرائع الدقيق الذي وصف به المؤلف بطلة روايته . حتى إن وصف ثوب السهرة الذي كانت ترتديه عندما فاتحها عشيقها بالحب أول مرة استغرق صفحة كاملة . فهو لم يغفل ذكر لونه السماوي ، وثنياته الكثيرة من الأمام التي جعلته فضفاضاً فخماً ، وزناره العريض المعقود بلباقة تظهر جمال خصرها المشوق ، وأكمامه المنتفخة المنحدرة قليلاً عن منكبيها الجميلين ، والوردة الحمراء التي تزين الصدر . من أين لسامي أن يجيد هذا الوصف ؟ وعهدها به لايحفل بالأزياء مطلقاً ، ويرمي بالسخف كل من تتبع تقلباتها المستمرة . هي لاتنكر عليه أنه أديب سلس مطواع ، دقيق الملاحظة، سهل التعبير . ولكم قرأت له يصف خلجات النفس ، ودقائق الشعور . أما أن يصف ثوباً نسائياً بهذه الدقة ، فهذا ما لا تصدقه أبداً .

وقالت في نفسها :

لابد أن سامي أعجب بفتاة كانت ترتدي ثوباً من هذا الطراز فترك الثوب في نفسه انطباعاً ظهر أثره جلياً في وصفه الدقيق . وأخذت تنتابها شكوك وظنون . ترى من هي تلك الفتاة ؟ وأين تعرف بها سامي ؟ وهل هي التي أوحت اليه هذه الرواية العظيمة ؟؟ من يدري ؟ ربما ألفها خصيصاً من أجلها ! ...

ثم أخذت تحملق في صورة البطلة المرسومة على غلاف الرواية وكان قـــد وضعها رسام مبدع ، وألبسهـا الثوب الموصوف بالرواية فجاءت مطابقة للوصف تماماً . وفجأة خطر لسعاد أن تصنع ثوباً من هذا الطراز ، وسوف تستنتج من تعلقات سامي عليه أشياء وأشياء ، ولكن هذا يكلفها كثيراً . وليس لديها المال الكافي ! وأخيراً قر عزمها على بيع خاتمها الماسي وسيغفر لها سامي تصرفهـا عندما يراها تخطر كبطلته تماماً رائعة وهي لابسة ثوبها الجديد .

بينما كانت سعاد تفكر في اعداد مفاجآتها إذا جاء زوجها ومعه ضيف عزيز على الأسرة هو شقيقه سلمان الموظف في قرية نائية عن دمشق . جاء يهنيء أخاه بالنجاح الباهر الذي أحرزه في روايته الأخيرة .

وكان سلمان ظريفاً حاضر النكتة ، أخرج من حقيبته الصغيرة فور وصوله ثوباً للنوم . لونه سماوي فاتح . وقال لامرأة أخيه :

سأترك هذا الثوب عندك لأرتديه عند النوم كلما جئتك زائراً . فلا أستعير بعد الآن منامة أخي سامي الضيقة القصيرة فأثير ضحككما كلما ارتديتها . ثم التفت الى سامي وقال له :

لقد أصبحت أمنا ياسامي عجوزاً لا تحسن عملاً . لقد طلبت منها ان تشتري لي قماشاً تخيطه ثوباً للنوم . فانظر لهذا اللون الزاهي الذي اختارته ، ولتفصيل هذا الثوب وخياطته ، لقد أسرفت في الطول والعرض حتى نفذ القماش فجاءت الأكمام قصيرة ! كلما ارتديته حسبتني عريساً من الريف .

قالت سعاد ساخرة :

هذا الثوب لاينقصه الا رقماً حتى يصبح كثياب السجناء تماماً .

فرد عليها سامي قائلاً :

دعينا من السجن والسجناء . واتركي سلمان يلبس ثوب نومه متشبهاً بعريس ولو كان من الريف ! ...

وأغرق ثلاثتهم في الضحك ، ثم انصرفوا بعد ذلك للتحدث عن الرواية وعما كتبه عنها النقاد في الصحف والمجلات .

وفي اليوم الثاني كانت سعاد تحمل في محفظتها ثمن خاتمها الماسي الذي بخسها إياه الصائغ ، وتجوب الأسواق لتنتقي قطعة ثمينة من الحرير السماوي الممتاز . وأخيراً وفقت لطلبها وذهبت تواً لعند خياطة شهيرة ، ولم تنس أن تأخذ معها الرواية ثم طلبت من الخياطة ان تخيط لها ثوباً على شكل ثوب الصورة المرسومة على الغلاف .

وبعد أسبوع كانت تخطر أمام مرآتها مزهوة بثوبها الجديد ، وقد أتقنت تقليد بطلة الرواية في تصفيف شعرها أيضاً . وأخذت تنتظر قدوم زوجها بصبر فارغ . وجاء بعد قليل . فحيته مبتسمة فرد تحيتها دون أن يعير ثوبها أقل التفات . وأسرع الى مكتبه فأخرج كتاباً وانهمك في قراءته .

ثم أخذت سعاد تكثر من التحدث اليه ، وتخطر متمايلة أمامه لتلفت نظره الى ثوبها الجديد . ولكنه قال لها دون أن يحول عينيه عن الكتاب .

أرجوك أن تسكتي . وتدعيني وشأني ولو قليلاً . لأني أريد أن أفرغ اليوم من قراءة هذا الكتاب لأكتب عنه نقداً أقدمه غداً للنشر .

فظهر الغيظ والحنق على وجه سعاد وتساءلت في نفسها :

هل آلمه أن أقلد بطلة روايته فتجاهلني ؟ ؟

ثم خلعت ثوبها بعصبية ، ورمته غير عابئة به . وجلست صامتة تفكر . وقد اعتمدت رأسها بين يديها كمن أصيب بصداع .

وبعد ساعة رفع سامي رأسه وسألها قائلاً :

مابك ياسعاد ؟ هل تشكين شيئاً ؟

قالت بحدة :

نعم أشكو بلادتك ! ...

بلادتي ؟ أجاب سامي مستغرباً . وماذا رأيت منها .. أراك قد أصبحت سليطة اللسان !

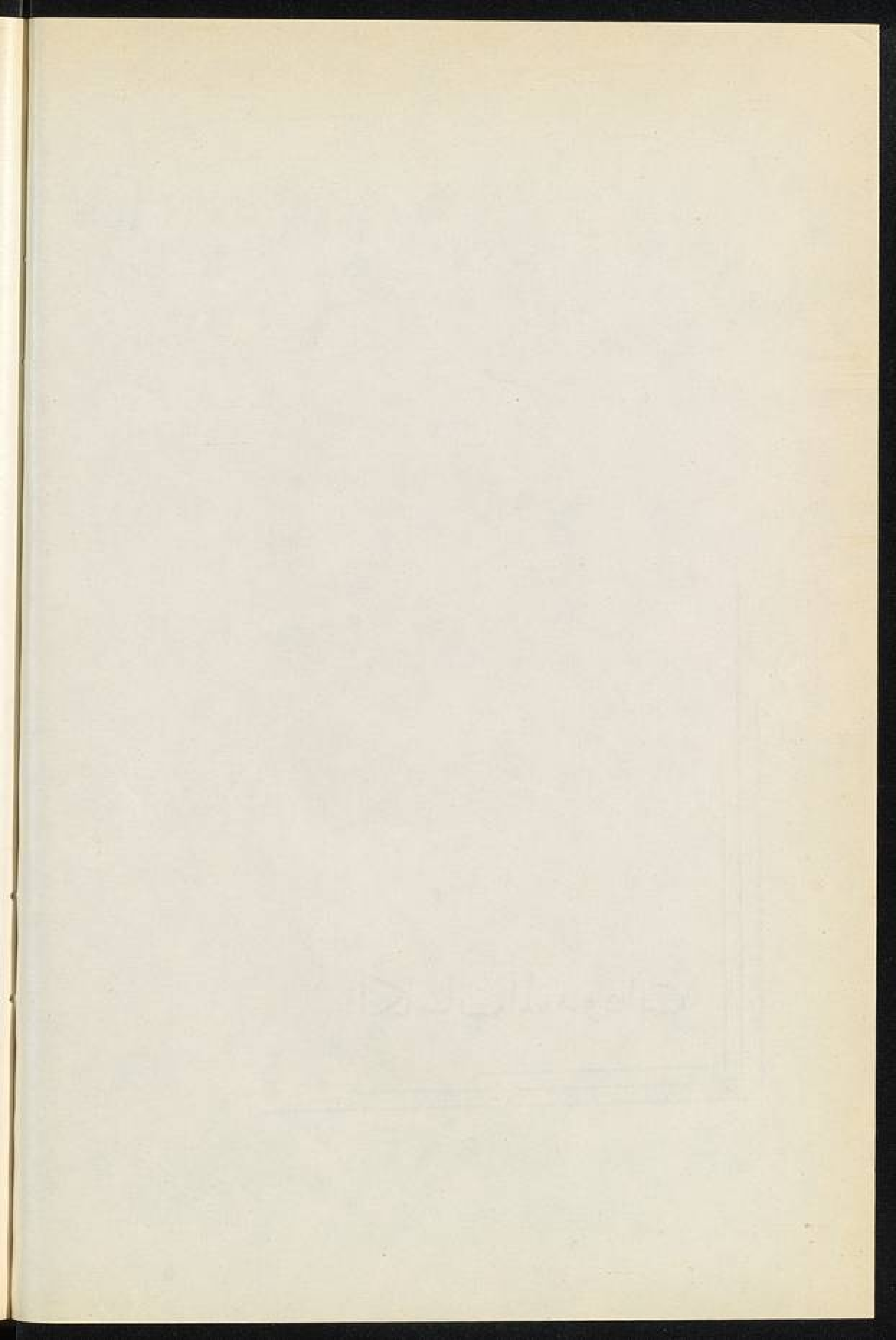
ماذا رأيت منها ؟ قالتها سعاد متهكمة . ثم أردفت : ألم تر ماذا كنت أرتدي منذ هنيهة ؟

- منذ هنيهة ؟ وأخذ يفكر وهو يعبث بجبهته ثم قال :

منذ هنيهة كنت ترتدين ثوب أخي سلمان . ولا أدري أي سبب سخيف حملك على ذلك !

ثوب أخيك سلمان ؟ ! .. ! . صاحت سعاد بأعلى صوتها . أهكذا رأيت ؟ ثم أغرقت في الضحك بعد أن أيقنت أن ليس هناك امرأة تغار منها ، ولا ثوب ترك انطباعاً في ذاكرة زوجها ، وثبت لها أن الأديب في خياله أروع منه في حقيقته . وأسفت أشد الأسف على جهودها الضائعة ، وعلى ثوبها الأنيق الذي مسخ في عيني زوجها الأديب الشرود ، حتى ظنه **ثوب أخيه سلمان**

الكاسات المعدودات



الكاسات المعدودات

كلما انتهت ام شكر من صلاتها رفعت يديها الى السماء وابتهلت الى الله تدعوه من قلب كسير وكبد محروقة . لم تكن لتسأله العفو والعافية وحسن الختام ، ولا أن يرزقها المال والبنين ويرد عنها كيد الحاسدين . بل كانت تضرع اليه دائماً أبداً أن يمحو **كاسات ابي شكر من لوحه المحفوظ ..**

وأبو شكر هذا زوجها وهو تاجر من تجار دمشق قد منَّ الله عليه باليسر والكسب الحلال . وهو شهم طيب القلب ، يتقرب الى ربه بالحسنات فيطعم الطعام على حبه يتيما ومسكيناً مما أكسبه مكانة مرموقة بين جيرانه وزملائه التجار . لم يتجاوز الخامسة والاربعين من عمره ، تنم عيناه الصغيرتان عن ذكاء ونزق ، كثير الحركة ، كثير الكلام . يرتدي زياً شائعاً بين اكثر تجار دمشق . وهو يشبه الزي الفرنجي كل الشبه ، الا أن السروال أعرض من المعتاد ، والسترة أطول من المألوف . ويلبس على رأسه طربوشاً كور عليه عمامة من نسيج الأغباني الذي خصت به مدينة دمشق .

وتتألف أسرة ابي شكر من زوجه وبناته الثلاث . وهو لم يرزق ولداً ذكراً بل سماه اصدقاؤه أبا شكر تيمناً عسى الله أن يمن عليه بولد ذكر يسميه (شكر) .

وتعيش الأسرة بخفض ورغد لايعكر صفاءها الا شيء واحد هو ما ابتلى به ربها من حب الخمرة ! . فهو لايطيق عنها صبراً ، حتى لتصرفه عن زوجه

وبيته . وهو يعاقرها كل يوم مع ندمانه طول الليل ؛ حتى اذا كاد الفجر ينبلج عاد الى بيته ثملاً يترنح . مما جعل زوجه في غيرة دائمة لانصرافه عنها ، وقلق مستمر على مصيره السيء . ولا سيما عندما تراه يزداد مع الايام تماديا في غيه ، وامعاناً في غوايته .

وتسكن الأسرة داراً فخمة في حارة من حواري دمشق القديمة ، وقد يتملكك العجب إذا مامررت بالزقاق الضيق الذي تنبعث منه روائح العفن والرطوبة ، ثم رأيت باب الدار المتواضع ، فاذا سرت بالدهليز المظلم بضع خطوات واجهك باب آخر عريض ، فاذا ماولجته طالعتك دار مشرقة . وإنه ليدهشك فناؤها الفسيح الذي هو على طراز تلك الدور الشامية القديمة قد رصفت ارضه بالرخام الابيض . تتوسطه بحرة ذات نافورة يندفع منها الماء بقوة فيحدث هديراً متتابعاً قد ألفته أسماع أهل الدار حتى ليشعرون بالوحشة إذا انقطع الماء وسكن الهدير ، وقد زينت الدار بأصص كثيرة غرست فيها الازاهير والنباتات المتسلقة التي مددت اغصانها على الجدران ونوافذ المخادع حتي كستها جميعها باغصانها اللينة . واوراقها اللامعة . وفي الزوايا أشجار وارفة من النارنج والليمون حتى بدت الدار كخميلة كثيفة . وفي صدرها ايوان ذو قوس عال يصعد اليه بثلاث درجات من مرمر . وقد فرشت ارضه بالطنافس العجمية ، وصفت حواليه الارائك عليها الحشايا والمساند .

وربة البيت السيدة ام شكر من هؤلاء النساء الوديعات اللواتي يقنعن من حياتهن بمملكة البيت ، لم يتبلبلن بين المدينتين الشرقية والغربية ، فأضعن هذه ، ولم يحسن تلك . قد أنشأت بناتها على طرازها ، فلما اتممن دراستهن الابتدائية أخرجتهن من المدرسة ووقرن في البيت يتدربن على تدبيره فلايخرجن منه إلا باذن من والدهن . وأخشى ما يخشاه ابو شكر على بناته هو مفاسد المدينة الحديثة .

وأم شكر ذات يد صناع ، قد علمت بناتها الخياطة والتطريز ، فطرزن معها أغطية الموائد ، وأغشية المساند ، وأطراف الستائر بالوان زاهية ، ورسوم شرقية بديعة حتى بدت الدار ببنائها واثاثها ذات طابع شرقي أنيق .

ولشهر رمضان شهر الخيرات والبركات حرمة وكرامة عند أسرة أبي شكر شأن كل الاسر الدمشقية المتمسكة باصول الدين ، وما تبعه من عادات وتقاليد ، مما يجعل الاسرة تستعد لمقدم الشهر المبارك قبل حلوله باسابيع . فيرسل أبو شكر المؤن ببحبوحة ، وتنشط زوجه مع بناتها فينظفن الدار من السقيفة حتى القبو .

ولعل أكثر ما يحبب رمضان الى ام شكر هو تلك التوبة التي يتوبها زوجها فيقلع عن شرب الخمرة فلا تمس شفتيه طوال الشهر الفضيل .

فاذا اطلقت المدافع احدى وعشرين طلقة ايذاناً بمقدم رمضان انقلب أبو شكر من ماجن مستهتر ، الى تقي ورع . ومن نزق حاد الطبع ، الى وديع دمث يؤدي الفرائض الخمس بأوقاتها ، ويقرأ القرآن ولا تفارق السبحة أصابعه يتلو عليها أدعية وأوراداً ، ويسأل الله أن يغفر له ماتقدم وما تأخر من ذنوبه .

وكم كان يروق له ان يجلس على الايوان قبيل الافطار يتلهى عن صيامه بمرآى زوجه وبناته . البنات رائحات غاديات بصحن الدار بالبستهن الزاهية ، يهيئن المائدة ، والزوجة تشرف على الطبخ بخفة ونشاط خوفا أن يدركها الوقت ، وقد زينت رأسها بباقة من ازهار الياسمين ، ووضعت في صدرها اطواقا من اللؤلؤ . وابو شكر يخرج ساعته من جيبه وينظر اليها من حين لآخر فاذا لم يبق للافطار الا دقائق ، قام فترأس المائدة الحافلة باشكال وألوان من الخضار والفاكهة والحلوى . ثم يتلو دعاء خاصا بصوت خفيض تنصت له الاسرة بخشوع

والعيون تلتهم الطعام ، والأنوف تتنسم عبيره الذكي . فاذا انطلق مدفع الافطار سمى ابو شكر بالله ، ثم ابتدأ بالاكل وتبعته زوجته وبناته ، ولا يسمع عندئذ الا قرقعة الملاعق تهوي الى الصحون وترتد الى الافواه بسرعة عجيبة . فاذا انتهت معركة الطعام قامت أم شكر فوزعت ماتبقى لديها منه على الفقراء والمساكين الذين اعتادوا ان يطرقوا بابها كل يوم في مثل هذا الوقت فينالون نصيبهم من لذيذ الطعام . وفي طليعتهم ابو حامد المسحر الذي يقرع الباب بعنف ، ويضرب طبلته فيضج الحي من صوتها المنكر ، يجأر بصوت أجش : « كل سنـــة وانتم سالمين » وأبو حامد المسحر رجل بغيض الشكل ، رث الثياب ، أشعث الشعر ، له عينان جاحظتان تنمان عن بله وغباوة ، يختفي طول العام فاذا أهل رمضان ظهر بشكله البغيض ، وثيابه الرثة وكأن له أتاوة على كل الناس ..

فاذا اذن العشاء صلى أبو شكر العشاء والتراويح ، ثم جلس على الايوان يستقبل زواره الكثر من أصدقائه وجيرانه ، يرشف معهم فناجين القهوة المرة ، ويدخن لفائف التبغ ، ثم يتبادلون النكات ، ويتناولون شتى الاحاديث حتى إذا سمعوا أبا حامد يضرب طبلته فيعكر ضجيجها سكون الليل . ثم يجأر بصوته الأجش :

(يانايم وحد الله) قام الزوار فانصرفوا الى دورهم . وتنشط ام شكر مرة ثانية لتهيئة طعام السحور ولما يمضي على طعام الافطار الا ساعات قليلة ، فتوقظ بناتها وتعود الجلبة الى الدار .

كل هذا وهي لاتشعر بتعب او ملل ، بل يغمرها فيض من السعادة ، وتود لو ان كل الشهور رمضان . وتتساءل لماذا تمر أيامه سراعا ؟! فتأسف على كل يوم مضى . وفي اليوم الاخير لم تفرح لمقدم العيد كما يفرح الناس اجمعون . وكيف تفرح ؟ وما من شك أن ابا شكر سيستأنف سيرته الماضية منذ صباح العيد ، فينصرف عنها الى كؤوسه وندمانه ، ويعود اليه نزقه وشراسته !

وام شكر تقية ورعة تؤمن بالقضاء والقدر فلا تحقد عليه ، تعتقد أن له **كاسات معدودات** قد كتبت عليه في لوح القدر لابد له ان يستوفيها ...

ولكنها لا تيأس من رحمة الله ، فلما صلت صلاة الفجر بعد مدافع العيد أخذت تدعو الله وتبتهل اليه في تلك الليلة الفضيلة أن يمحو كاسات أبي شكر من لوحـــه المحفوظ ويهديه سواء السبيل .

ثم نامت تهدهدها أحلام عذاب .

وما كادت تغفو قليلا حتى سمعت أبا شكر يناديها بصوت خفيض ، متهدج النبرات :

ـ أم شكر ! أم شكر ! أنائمة انت ؟

ـ لا ... اسم الحفيظ عليك ماذا اصابك ؟؟

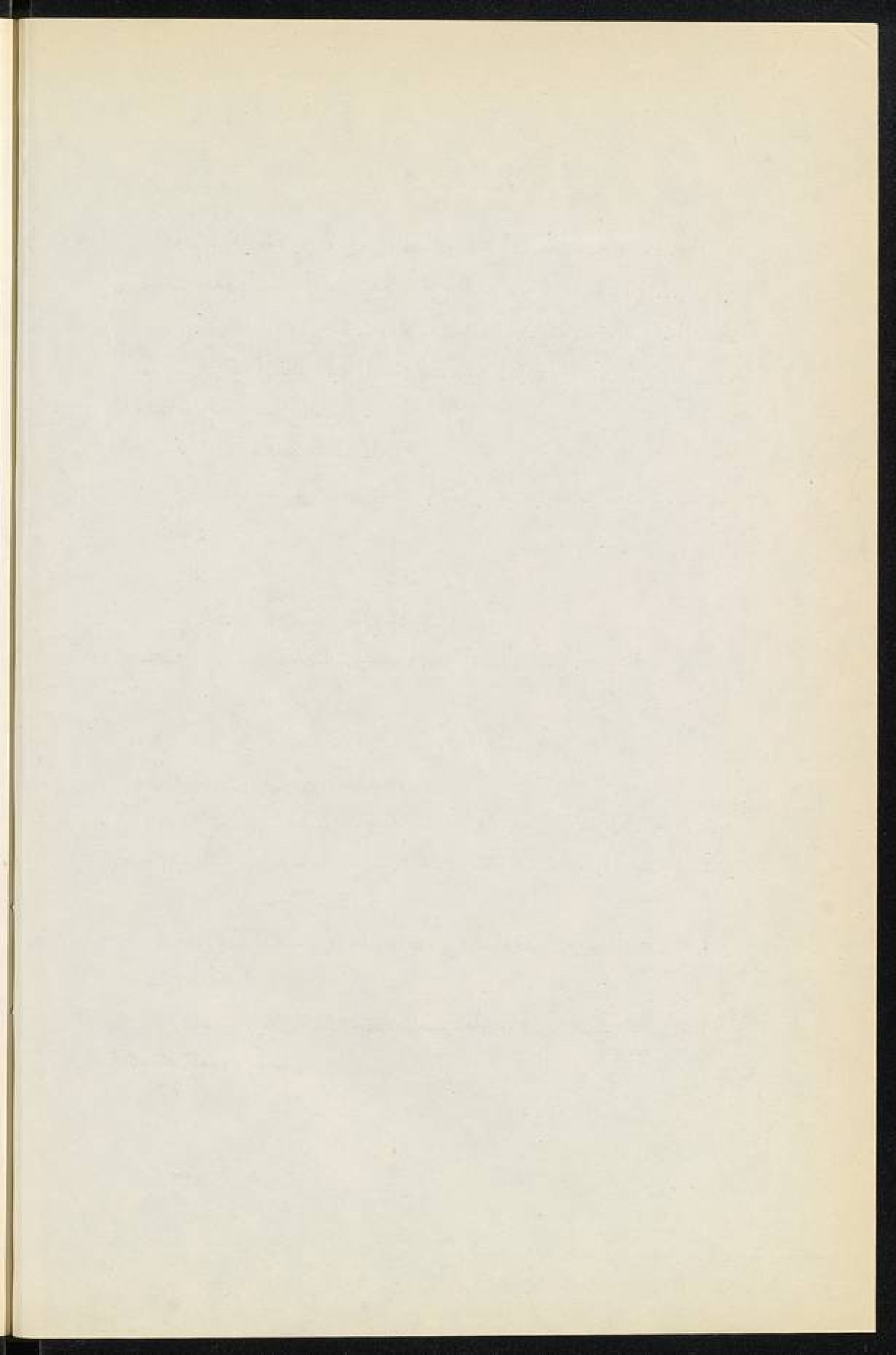
ـ إني مضطرب جدا ... خائف ، كل أوصالي ترتعد . لقد حلمت حلماً مزعجاً !

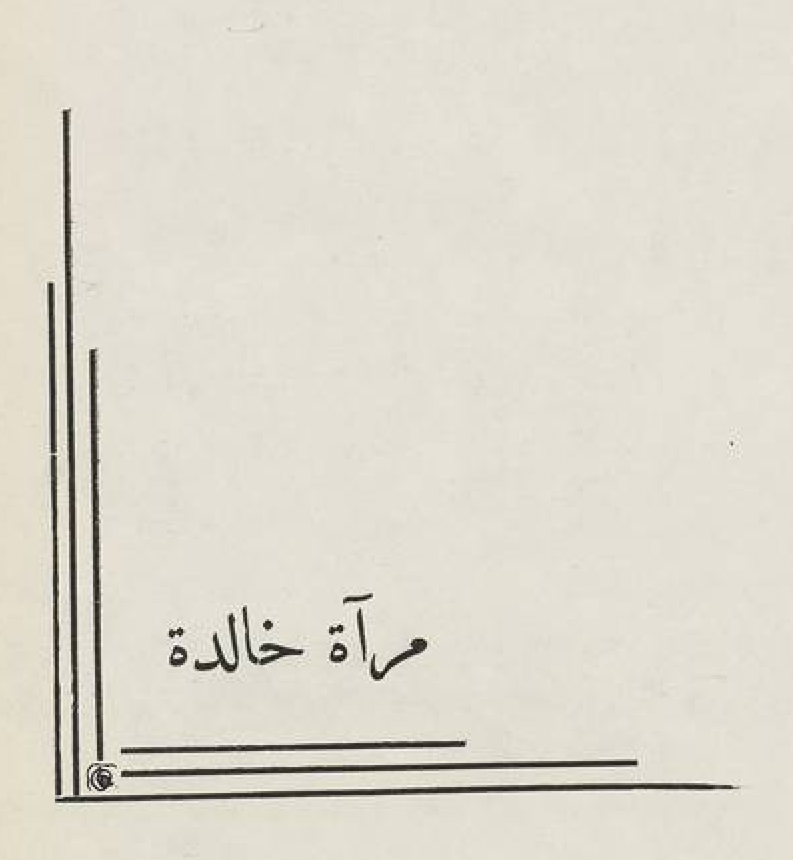
ـ خير بيركة ألف صلاة على النبي . ماذا رأيت ؟ تفسيره على ابي بكر الصديق .

ـ لا يمكنني أن اصف لك ما رأيت . إنه هائل جداً . لقد رأيت يوم الآخرة وما يصيب شارب الخمرة من عذاب واجهش بالبكاء . أشهد الله واشهدك يا أم شكر اني سوف لا أذوقها ما حييت ...

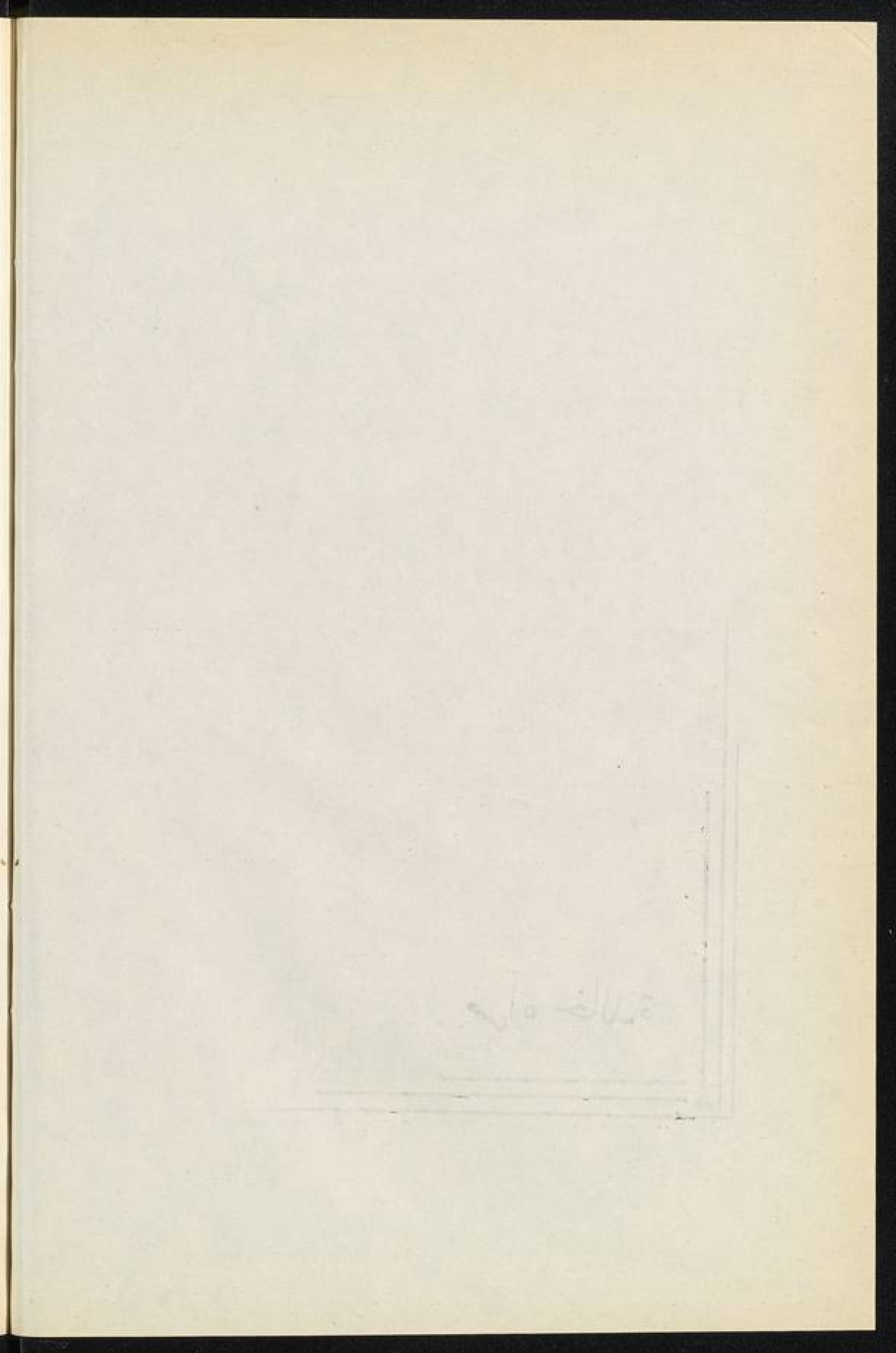
فخفق قلب أم شكر فرحاً ، واقشعر جسمها خشوعاً ، وأخذت تسائل نفسها :

أكانت ليلة القدر حتى استجاب الله دعاها ؟ أم إن أبا شكر قـد استوفى **كاساته المعدودات ؟؟**





مرآة خالدة



مرآة خـالدة

ما للسيدة احسان تعود هذا المساء من سهرة رأس السنة كئيبة ضيقة الصدر تنضو عنها ثيابها الأنيقة بملل وفتور ، وترمي بها على اريكة قريبة منها غير حافلة بها ، ولا عابئة بما يصيبها من أذى . ثم تقترب من مرآة نصبت في غرفة نومها فتتفرس في وجهها بامعان فتكاد تنكره .

ياللمرآة الخبيثة ! لقد بدأت تتنكر لها من أمد غير بعيد . وها هي ذي اليوم تضرب ضربتها القاصمة فلا تدع مجالا لتضليل او تمويه .

لقد خبا بريق عينيها الأخاذتين وغارتا في محجريها ، وتقصفت الاهداب الطويلة التي كانت تترك ظلالا فاتنة على الخدين . وبدا مكانها تعاريج وتجاعيد حول العينين . و هذان القوسان البغيضان اللذان يحيطان بالفم من اين أتيا ؟ لقد حولا ابتسامته المشرقة الى تكشيرة بغيضة . أما العنق فهنا الطامة الكبرى ! فالعقد الثمين لايخفي شيئاً من غضونه ونتوء عظامه . لقد همت أن تحطم المرآة التي بدت وكأنها تهزأ منها عسى أن تهدأ ثورتها إذا رأت شظاياها تتناثر في ارجاء الغرفة ...

لقد أحبت المرآة فيما مضى حباً جماً ، يوم كانت تشعر بزهو واعتزاز كلما نظرت اليها ، يوم كانت محط الانظار تشرئب اليها الاعناق ، ويشار اليها بالاصابع يوم اطلق عليها المعجبون بها لقب ملكة النادي الذي تنتمي اليه ، ويوم أسر اليها الكثيرون من رواد هذا النادي انهم ينتمون اليه من اجلها . فهي بهجته ، وكوكبه الساطع . وما قيمته إذا خلا من قوامها الفتان ،ورقصها الموار،وضحكها الماجن المرنان ؟؟ .

يالزمن ما أسرع مضيه !..

ها هي ذي الآن لايحفل بها احد ، ولا يعبأ بها انسان ، حتى اصدقاؤها القدامى بدأوا يتجاهلونها ويفرون منها . ولربما هزيء منها بعض الصبايا لفرط تأنقها . كما كانت هي في صباها تهزأ من العجائز المتصابيات . ومن يدري لعلهن وصفنها بالعجوز المتصابية ..

لقد أحست كأن كابوساً ثقيلا يجثم فوق صدرها فضاقت به انفاسها ، وشعرت بحاجة ملحة إلى البكاء . واخذت تقاوم هذا الشعور ، فهي لاتطيق ابداً ان يفطن زوجها الى مايعتمل في نفسها . لقد تضخمت حنجرتها حتى كادت تنفجر ثم انهارت مقاومتها فاستسلمت الى بكاء ذي نشيج مرير . فهرع زوجها يسألها مابها . فلم تستطيع الاجابة . يالازوج الطيب ! ... انى له أن يدرك مايصيب الملوك إذا هوت عن عروشها ؟ !..

فيسرع يستدعي طبيب العائلة ، ويقرر الطبيب :

إنها نوبة عارضة لاخوف منها ، ويعزوها الى ارهاق الاعصاب بالسهر الطويل وهنا يجد الزوج مجالا للوم فيقول :

هذا صحيح يادكتور . لقد نصحتها كثيراً لتقلع عن عادة السهر رفقاً بصحتها فلم تستمع لنصحي .

فابتسم الطبيب ، الرجل المحنك ، وقال للزوج الطيب بعد ان رمق المرأة المتداعية بنظرة : أؤكد لك ياسيدي أنها ستستمع لنصحك من الآن فصاعداً !!..

وودع الطبيب مريضته بعد أن وصف لها علاجا مهدئاً للاعصاب .

ثم قامت احسان الى سريرها تنشد النوم فلا تجد اليه سبيلا ، وعادت سهرة اليوم تتمثل أمامها كفلم سينمائي تتعاقب فصوله .

ان اكثر ما أثار غيرتها هذه الليلة هو الفوز الباهر الذي نالته تلك الصبية الحسناء ذات الاعوام التسعة عشر ، والتي حازت الجائزة الاولى التي وضعها النادي

للجمال والاناقة .

لقد كان لجمالها الفتان فعل السحر في النفوس . فصفق لها الرجال طويلاً ، وكادوا يلتهمونها بأبصارهم التهاماً . أما النساء فقد أخذن ينقبنها تنقيباً ، يفتشن فيها عن عيب ترتاح اليه نفوسهن فترتد اليهن أبصارهن وهي حسيرة .

كل ذلك كان يهون الى جانب مابدا من صديقهـا عدنان الذي كان من أشد المعجبين بها فيما مضى . لقد هجر النادي منذ أمد بعيـد فلم تعد تراه الا لماماً . فما باله اليوم يعود الى النادي فيسرح ويمرح كسابق عهده ، ويراقص الفتاة الفائزة مراراً عديدة ، ويتناهى اليها ضحكه من بعيد بين كل آونة وآخرى فيلذعها هذا الضحك لذعاً ، ويبعث التنهدات من صدرها عميقة حارة . حتى إذا كان آخر السهرة يجيئها عدنان مجاملاً فيجلس الى مائدتها ، ويحييها ببساطة كأن لم يأت أمراً إداً . ويسألها بوقاحة غير عابيء بشعورها :

مارأيها بالصبية الفائزة ؟ لقد اعتزم أن يخطبها . فأرادت أن تغيظه فقالت : ماأراك الا كبير السن بالنسبة اليها ...

فأجابها غير مبال :

هكذا تقولين ؟ ! لا اعتقد أبداً أن الفتاة ترى رأيك . فأنا أبدو أصغر من عمري بكثير ، والفتاة معجبة بي أشد الاعجاب .

فلم تزد احسان على ان قالت :

مسكينة ! ! ... وتبادلا نظرتين عاتبتين .

وفجأة تتنبه احسان الى أمر يروعها . ترى هل انتقمت منها الأقدارفسخرت لها هذه الفتاة بالذات تثير غيرتها وسخطها ، وتستولي على عدنان حبيبها المفدى ؟ وانها لتجدها قادرة على أن تمحو ذكراها من قلبه ..

وتطوح بها الذكرى الى عشرين سنة خلت ، والى ليلة ساهرة في عيد رأس السنة مثل هذه الليلة تماماً ، حينما جاءتها صديقتها الصغيرة سلوى وأسرت اليها

انها معجبة بالفتى عدنان أشد الاعجاب ، وإنها لتجد فيه فتى أحلامها ، وترجوها أن تكون هي واسطة التعارف بينها ، وتسعى لربط أواصر المحبـــة بين قلبيهما . وانها تجدها خير من يستطيع النجاح في هذه المهمة بما فطرت عليه من لباقة ، وحسن تصرف .

فسعت احسان حينئذ الى تحقيق أمنية صديقتها سليمة القلب ، صافية النية . ولكن حدث مالم يكن بالحسبان ! فقد أخذت هي بظرف الفتى ووسامته ، ولم يلبث هو أيضاً ان اعترف اليها بحب دفين يقض عليه مضجعه منذ رآها أول مرة . ووجد هذا الاعتراف في نفسها المتعطشة وقتئذ الى الحب مرتعاً خصباً . فنسيت صديقتها الغالية سلوى ، والغاية التي سعت من أجلها الى عدنان ، ولم تذكرها له بتاتاً . واندفعت في حبه بغير هوادة ، اندفاعاً ملك عليها شعورها ، ثم أخذت تسعى لاقصاء سلوى عنه بكل مالديها من أساليب . ولم تجد في ذلك كبير مشقة فقد انسحبت الفتاة من الميدان متأثرة بغدر صديقتهـــا ، وهجرت النادي . ثم تناهت أخبارها الى أعضائـــه فقد تزوجت ، وسعدت بزواجها ، وانجبت طفلة جميلة .

وها هي ذي الطفلة تصبح صبية فاتنة ، تشاء الأقدار أن تقتص لأمها من صديقتها الغادرة .

واخذت احسان تتساءل : ترى هل يذكر عدنان تضحيتها في سبيله ، يوم كانت تسعى له عند أولي الأمر متسلحة بفتنتها وجمالها حتى رفعته من شاب مغمور ، يتمنى رضاها ، الى سيد مرموق يتخلى عنها ؟ ! !

وبدت لها حياتها تافهة ، وماضيها بشعاً مرزولاً . تبـــدأ بشاعتـه يوم اختارت زوجها ، وصدفت عن كثير من الشبان الذين خطبوها ، ولربمـا خفق قلبها بالحب لبعضهم ، أما كان في وسع كل واحد منهم لو تزوجته أن يحميها من التردي في أوحال هذا الماضي البغيض ؟ ! . ولكنها أصمت وقتئذ أذنيها عن داعي

القلب ، وتزوجت من سمج غبي ، لم تنشد فيه الا الثروة . الثروة الطائلة التي تتيح لجمالها الرفاهية والظهور الذين يليقان به في عرفها .

وقد بلغ من حمقها مرة أن تخلصت من جنينها وهي في سكرة الشباب ، خوفاً من أن تشوه الأمومة جمالها الذي تعتز به ، فيزهد بها عدنان . ونتج عن ذلك عقم مستعص لم ينجح نطس الأطباء في شفائه ، عندما ثابت احسان الى رشدها ونشدت العزاء في الولد .

ترى هل ستفطن سلوى الى الخدمة الجلى التي قدمتها اليها يوم حالت بينها وبين الزواج بعدنان ، الذي يماثلها في العمر أو يصغرها قليلا ؟ أما كانت الغيرة القاسية ستنهشها كما تنهش احسان الآن ، إذا رأته ينصرف عنها وهو مازال في شرخ شبابه الى الصبايا اللواتي في عمر ابنتها .

لقد سلبته منها خاملا مغموراً ، وها هوذا يعود الآن الى ابنتها نابه الصيت ، رفيع الدرجات . ترى أي لوعة ستفري كبدها لو استطاعت أن تخترق الغيب فترى الفارق الشاسع بينها وبين صديقتها القديمة سلوى ؟..

عندما عادت من السهرة كانت تعسة تشعر بالخيبة و الفشل ، بينما غمر صديقتها فيض من السعادة والرضى ، وهي مزهوة معتزة بابنتها الفائزة اعتزازاً لم تشعر بمثله منذ كانت في التاسعة عشرة من عمرها .

ولم لاتكون كذلك ؟ وقد أصابت هذه الليلة من المديح الشيء الكثير . فهذه صديقة عجوز تقول لها :

عندما رأيت ابنتك حسبتك أنت وقد عدت الينا كما كنت في التاسعة عشرة من عمرك .

وهذا قريب لها يقول لابنتها على مسمع منها :

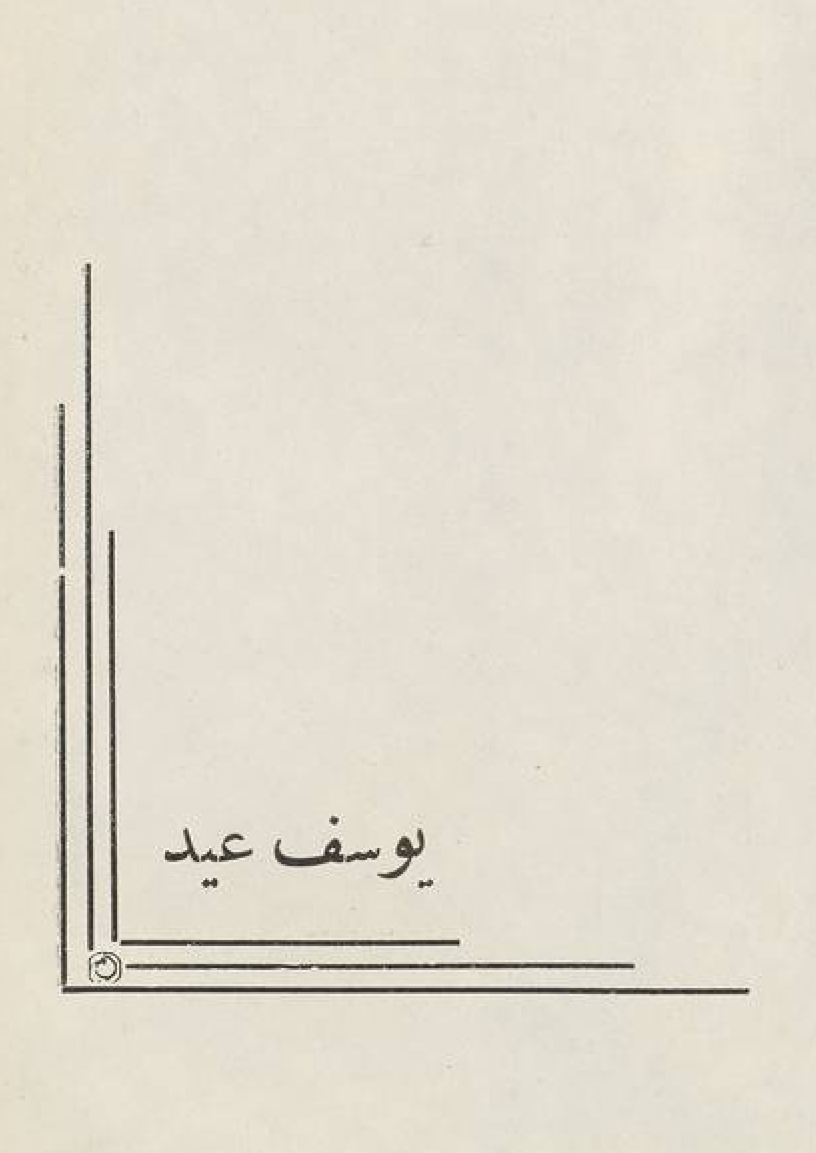
لاتتيهي كثيرا لقد كانت امك أجمل منك .

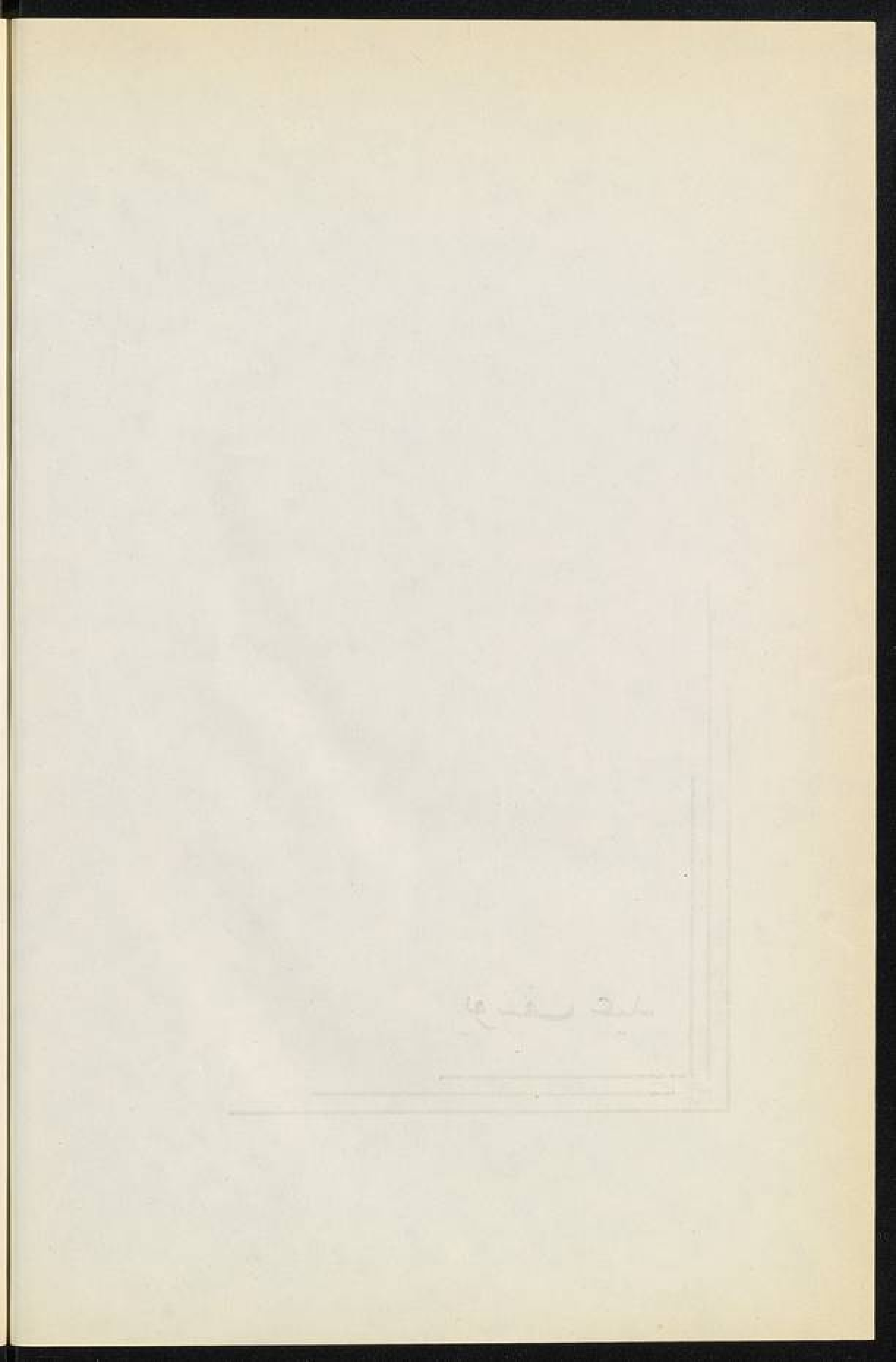
وذاك يطريها فيقول :

لاعجباً أن تأتينا ام كهذه بابنة كتلك .

ولذا لم يخطر لها ابداً أن تنظر وجهها في المرآة وتتفرس فيه كما فعلت صديقتها احسان . بل تفرست في وجه ابنتها **مرآتها الخالدة** . فأشاعت نضارته في نفسها طمأنينة ورضى . واستلقت على سريرها واستسلمت الى نوم هنيء لذيذ بينما عاودت احسان نوبة ثانية من البكاء المرير سببها إرهاق الاعصاب بالارق الطويل !

ولعلها كانت بمنجاة من ذلك كله ، لو أن لها كصديقتها سلوى **مرآة خالدة** !


يوسف عيد



يوسف عيد

إن لتسمية (يوسف عيد) قصة طريفة .

كانت أمه مئناثاً قد رزقت من البنات سبعاً ، تلقى أبوهن مجيئهن الى هذه الدنيا بصبر عجيب . وكأنه كان يتلو كلما بشر بأنثى : **فصبر جميل والله المستعان** .

ولكن لما حملت زوجه للمرة الثامنة ركبه هم شديد حرمه لذة النوم .

وما أدهشه ذات مساء أن قالت له زوجه فرحة مستبشرة :

بشراك سآتيك هذه المرة بغلام مئة بالمئة .

فسألها مستغربا : أنى لها هذه الثقة بمجيء الغلام وقد خاب فألها سبع مرات متتابعات ؟ !

فقالت له جادة !

لقد أخذتني جارتنا اليوم الى الشيخ هارون ، إنه والله نادرة عصره ، شيخ مهيب الطلعة ، مهندم الثياب ، كله جلال ووقار ، وحجبه مجربة لاتخطيء ابداً . تلقانا يبشر وإيناس ، فقبلنا يده المباركة ، ثم قصت عليه جارتنا أمري ، فقام فصلى من أجلي ثلاث ركعات ختمها بسورة (ياسين) وما كاد ينتهي منها حتى غشيته غيبوبة دامت بضع دقائق . ولما استفاق منها تناول مصحفاً صغيراً ثم فتحه مستخيراً لي ، فاذا هي سورة (يوسف) فقام اليّ ودق صلبي ثلاث دقات قائلاً : صبي بمشيئة الله .

ثم وضع في عنقي حجابا تناوله من على رف قريب منه وقال إنه كتب فيه

سورة يوسف ، وأمرني أن لاانزعه من عنقي حتى الوضع . فنذرت أمام الشيخ إذامنّ الله عليّ بغلام أن اسميه (يوسف) ، وأن أدفع للشيخ ليرتين ذهبيتين ، كما اني دفعت له الان ليرة رشادية ثمن الحجاب .

فقال لها زوجها حانقاً :

دفعت له ليرة ذهبية ؟! يالك من سخيفة ! . ثم أخذ يعنفها ، ويهزأ بها وبجارتها . ثم قال ساخراً .

هي ان الله تعالى قد آذن بمنحك غلاماً . ثم أتيت الشيخ هارون فغلط ، والغلط من طبائع البشر ، وناولك من على رفه القريب منه حجابا كان قد كتب فيه سورة مريم واعده لطالبات الاناث فسيقلب الله عز وعلا الذكر الذي منّ به عليك انثى اكراماً لحجاب الشيخ هارون ، فتكون **المصيبة الثامنة** ! . . . فخير لنا اذاً والامر خطر ، ان نفتح الحجاب ونتأكد منه .

فاستشاطت الزوجة غضباً ، وحلفت بأغلظ الايمان أنها ستترك البيت ، والبنات السبع الى غير رجعة ان هو انتهك حرمة حجاب الشيخ ، لانه إذا فتح فسيبطل مفعوله ، ويذهب ثمنه الباهظ هدراً :

وخاف تهديدها فقال لها :

شأنك وما تريدين . ورمى اليها بالحجاب غير مبال . فقالت له :

ياويلك ! أو تهزأ بكلام الله ؟

فأجابها بحدة :

أعوذ بالله واستغفره . انما أهزأ منك انت ! كيف فرطت بليرة ذهبية ، لعلنا وبناتنا السبع أحوج اليها من الشيخ هارون . كما إني لاأخفي عليك اعجابي بالشيخ هارون ، إنه ولا شك ألمعي الذكاء ، يعرف كيف يستجر المال من البسطاء امثالك على اهون سبيل .

ولكن ثقي لو انك رزقت غلاماً وهذا ما استبعده كثيرا ، فسوف لااسميه

يوسف ولو أوتي الحسن كله ، وتأويل الأحاديث أيضاً ، لأن لي زميلاً يسمى يوسف أبغضه وأستثقله كثيراً ، ولا أريد أبداً أن أجعل له سمياً في بيتي ..

فسكتت الزوجة على مضض وهي تقول في نفسها :

وسيخلق الله مالا تعلمون .

ومرت أشهر الحمل سراعاً . وكانت لاتخلو من جدل ينتهي في أكثر الاحيان بمشادة تدور حول الشيخ هارون ، وحجابه الذي يطوق عنق الزوجة .

وشاء الله أن تضع الزوجة مولوداً ذكراً في أول يوم من أيام عيد الأضحى المبارك . فعم الفرح والبشر البيت بأثره ، ولكن لم تمض ساعات حتى عادت مشكلة تسميته الى الظهور . أبوه يصر على تسميته (عيد) لأنه ولد في أول يوم من عيد الأضحى المبارك ، وأمه تصر على أن تسميه (يوسف) لأنها نذرت ذلك أمام الشيخ هارون . وتخشى إن لم تف بنذرها أن يقصف الله عمر وليدها .

وبينما الجدل على أشده ، إذ رن في أرجاء البيت صوت جهوري ! ياستار !

انه الشيخ هارون بطلعته المهيبة ، وجلاله ، ووقاره ، وتوجه تواً الى غرفة الزوجة كأنه يعرفها وهو يقول :

أين (**يوسف عيد**) ؟ ... هاته لأباركه . والتفت الى المرأة وقال لها باتزانه المتكلف :

لقد غشيتني هذا الصباح غيبوبة فرأيتك كما أنت الآن ورأيت في حجرك غلاماً كالقمر . ولما سألت ما اسمه ؟ هتف بي هاتف :

هذا **يوسف عيد** ...

فناولته وليدها خاشعة مبهوتة . ولما تناوله منها أخذ يتلو في أذنه بصوت خفيض بعض أي الذكر الحكيم . بينما كانت هي تنظر مزهوة شامتة الى زوجها الذي قبع في احدى زوايا الغرفة حائراً صامتاً ، وقد عقدت البغتة لسانه ، وكأنه كان يقول في نفسه :

لاشك إنها احدي كرامات الشيخ . من أين عرف ان زوجي قد وضعت الآن وهو يقطن حياً بعيداً عنا ؟ وكيف عرف أننا اختلفنا على الاسم فاختار لنا هذا الحل الوسط ؟ إنه الهام من الله يخص به عباده المتقين ...

ولما انتهى الشيخ من القراءة تحول نحو الاب . وصوب اليه نظرة حادة من عينيه النفاذتين جعلت الرجل يغض الطرف ، فابتسم الشيخ بترفع كالعافي عند المقدرة ، وقال له بصوت متزن وهو يهز رأسه : لاتهدي من احببت إن الله يهدي من يشاء .

لابأس عليك ... خذ ابنك فاني لأتوسم فيه الخير والصلاح ، وانذر ان تذبح له في كل عيداضحى ضحية تطعم منها الفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل ، لتكون فدى تدفع عنه كل أذي ومكروه .

فأجابه خاشعاً متلعثماً :

أشهد الله ، واشهدك ياسيدي الشيخ اننا سنفي بالنذر في كل عيد اضحى إن شاء الله .

ولما هم الشيخ بالذهاب تبعه حتى الباب ، ثم تناول كم جبته فقبله ، ودس في جيبه ليرتين ذهبيتين ، وكأنه قد اصبح أشد ايمانا به من زوجه .

ولما خلا الشيخ هارون الى نفسه أخذ يضحك من هذا التوفيق العظيم الذي أصابه في هذا اليوم ، والذي سيجعل له شهرة بعيدة الصيت . أي مصادفة عجيبة ساقته الى هذا الحي ، ثم جمعته بجارة المرأة ، فاستوقفته ، وانتحت به ناحية وقالت له :

إن جارتها أم البنات السبع التي جاءته بها منذ شهور واستخار لها ، قد وضعت الآن غلاما كما تنبأ لها . ولكن أباه وهو رجل عنيد يأبى ان يسميه (يوسف) والام في حيرة من امرها ، فهل من بأس على الغلام إن لم يوف نذره ؟

فابتسم الشيخ ، وبرقت عيناه الحادتان ، وفكر قليلا ، ثم قال المرأة :

أعرف كل ذلك ، وها اناذا في طريقي الى جارتك ... فهوت المرأة على يده تقبلها وتقول له :

نفعنا الله ببركتك ياسيدي الشيخ . ولا حرمنا الله منك . وها هوذا البيت قريب منك ، أول باب في الحارة التي على يمينك . فاسرع ياسيدي الى هذه المسكينة فهدىء روعها ...

وتمسكت عائلة (**يوسف عيد**) بالنذر تمسكا شديداً ، فقد مرت عليها أيام يسر وعسر ، ونعيم وبؤس ، ولكن لم يأت عيد واحد دون ان تذبح الضحية وتوزع على الفقراء والمساكين ، ويخص الشيخ هارون بنصيب وافر منها .

ولما كان العيد العشرين قلب الدهر للأسرة السعيدة ظهر المجن ، فها هي ذي ام يوسف عيد تحتل مع ابنتها الصغرى غرفة حقيرة في احدى حواري دمشق القديمة . لقد اصبحت لاجئة فلسطينية ، كسيرة القلب ، مهيضة الجناح . لقد تشتت شمل الأسرة فمات الأب كمداً إثر نكبة فلسطين !! ثم تفرقت البنات ، فتزوج بعضهن ، ومارس بعضهن الخدمة أو التمريض ، و (يوسف عيد) كان في ذلك الحين في صفوف النار مع رفاقه الشباب ، يرد كيد الغاصبين ، ويدافع عن ارض الوطن ، والحق السليب .

واختفى الشيخ هارون فلم تعد تعرف أين مقره لتلجأ اليه في الملمات .

وفي صبيحة عيد الأضحى قالت لها ابنتها :

مالك يا أماه ؟ لقد رأينا من الأهوال أشدها ، ومن المصائب افجعها ، فما رأيتك تبكين بمرارة وحرقة كاليوم . فأجابتها والعبرة تخنقها :

أنسيت انه عيد الأضحى ؟ ! ... وليس بوسعنا ان نضحي لأخيك كما نذرنا له . ولعله الآن احوج مايكون الى ضحية تدفع عنه أذى العدو ومكره . واني

لاخشى إن لم نف بالنذر كما وعدنا الشيخ هارون ، ان يكون هو الضحية في هذا العيد !!..

فوجمت الصبية قليلا ، ثم انبسطت اساريرها وقالت لأمها : أنسيت خاتمي ؟ وناولتها خاتماً ذهبياً هزيلا هو كل ماتبقى لها من حليها . فتناولته الام لاهفة، وأسرعت الى السوق ثم عادت بعد ساعة وهي تقول لابنتها :

لقد اشتريت بثمنه خروفا صغيراً ضحية ، وأطعمته الفقراء عسى أن يتقبله الله منا .

ونامت أم يوسف عيد ليلتها تلك مطمئنة النفس ، مرتاحة البال .

لم يمض على هذا الحادث سوى أسبوع واحد حتى كان (**يوسف عيد**) بين أمه وأخته الصغرى يقص عليهما أعجوبة نجاته فيقول :

كنا بضعة رجال في اعلى التل الذي في حدود بلدنا ، نصلي العدو ناراً حامية فاذا هو يحصرنا ويضرب نطاقاً ويوالي اطلاق النار علينا . فاعتصمنا برأس التل ثلاثة أيام نفد خلالها زادنا ، وكادت تنفد ذخيرتنا . وفي اليوم الرابع رأينا العدو يفك الحصار ، ويكف عن اطلاق النار . فعجبنا من امره أشد العجب . فقال احدنا وكان طيب القلب :

اليوم عيد الأضحى ، وقد اعتاد المحاربون ان يرعوا حرمة الأعياد فيكفوا عن اطلاق النار . فضحكنا منه وقلنا له :

لم نعهد في عدونا النبل والشهامة . ولكن لأمر ما رفع عنا الحصار ، فهذه فرصة لاتفوت . ولم يكن امامنا سوى طريق واحدة فأخذنا نغذ السير فيها ، حتى إذا وصلنا سفح التل انفجر أمامنا لغم هائل كان العدو قد أعده لنا . فاستشهد بعض الرفاق !! واصيب بعضهم بجروح ثخينة ، وكنت انا الوحيد الذي لم يصب باذى ...

كانت امه تصغي اليه وقلبها يضرب بقوة وعنف ، ثم سألته :

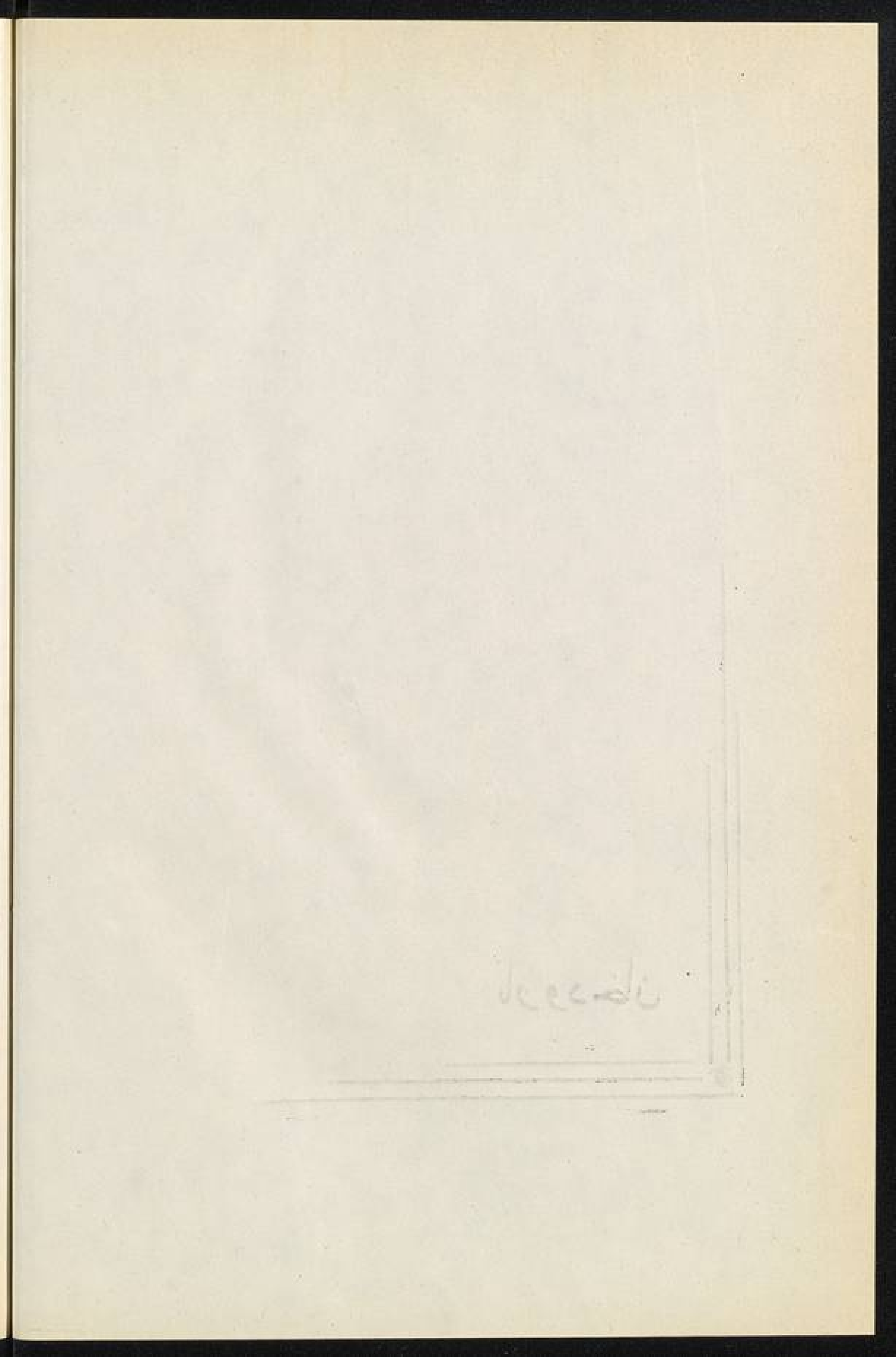
أ كان ذلك اول يوم عيد الاضحى المبارك يابني ؟!

أجابها : بكل تأكيد يا أماه .

فتبادلت الأم وابنها نظرة تخللتها دموع الفرح ..

لقد تقبل الله الضحية فكانت منجاة **ليوسف عيد ...**

نارودخان



نار ودخان

كنا بضعة عشر شخصاً في فندق صغير اعتدنا ارتياده كلما هبطنا تلك القرية اللبنانية النائية ، التي تشرف على واد من أودية لبنان السحيقة ، تزدحم فيه أشجار الصنوبر خضراء نضرة ، تياهة بقاماتها المياسة . ولم يمض على وجودنا في الفندق مدة وجيزة حتى ائتلفنا مع نزلائه ، وكانوا نخبة جمعتنا بهم المصادفات السعيدة ، فاذا نحن كأصدقاء مضى على تعارفهم أمد بعيد .

كنا نقضي ساعات ممتعة أصيل كل يوم على شرفة الفندق نرقب روعة الغروب ، ونتبادل شتى الأحاديث والنكات ، وكان من بيننا كاتب لبناني كبير مع زوجه ، وهي سيدة سورية ألمعية الذكاء . وأديب نابه من حلب ، ووجيه شامي وزوجه . وسيدة مصرية خفيفة الظل على افراطها في التأنق .

ويتطور الحديث بيننا مرة ، فاذا نحن نتحدث عن الغيرة وتأثيرها في الرجل والمرأة ، وعن أي دور تلعبه بين زوجين حبيبين . فردد الأديب القول المأثور :

الغيرة دخان الحب ، فاذا خمدت ناره ذهب دخانه !

ويتبادل الوجيه الشامي مع زوجه نظرة يعقبانها بضحكة عالية أثارت فضول السيدة المصرية فقالت :

لابد لهذه الضحكة من قصة طريفة ألا توافقون معي على سماعها ؟

فقال الكاتب اللبناني :

بل نصر على ذلك ...

فقالت زوجة الوجيه الشامي :

لو لم تصبح هذه القصة من ذكريات الشباب البعيدة لما قصصتها عليكم . وقبل أن أقصها أحب أن تعلموا أن زوجي هذا الذي ترونه ماثلاً أمامكم ، قد قاسى كثيراً من المتاعب والآلام حتى استطاع أن يتزوجني .

فرفع الزوج حاجبيه ونظر اليها دهشاً ثم قال :

كأنني وحدي الذي قاسيت ! وأنت ألم تقاسي أبداً في سبيلي ؟ ؟ .

قالت : لم أنكر أنني قاسيت أيضاً ، فكلانا كان مفتوناً بالآخر . ولكنني لم أصل الى ماوصلت اليـه أنت ... أبسط لهم بالله عليك يدك اليسرى فما زال فيها ندبة تثبت أنك قطعت شرايينها لتنتحر ! وذلك عندما أراد أبي أن يحرمك مني ويزوجني من ذلك الثري الحموي . ولو لم تسعف في الوقت المناسب لكنت الآن في عداد شهداء الحب .

فعلت حمرة الخجل وجه الزوج ، وأخفى يده اليسرى في جيبه وقال :

نحمد الله ، لقد مضى الشباب وجنونه .. فأجابه الكاتب اللبناني بلهجة آسفة :

سبحان الذي لايحمد على مكروه سواه !

وحانت مني التفاتة فرأيت الأديب يحدق النظر بالسيدة وهي تقص علينـا حكايتها ، والاعجاب ملء عينيه . وكأني به يقول في نفسه : لقد كان الرجل على حق عندما حاول الانتحار في سبيل هذه الفاتنة ، فالخمسة والأربعون عاماً لم تجرؤ أن تنال شيئاً من رشاقة قوامها اللدن ، ولا من نضارة وجهها الفاتن ، فما زالت رغم السنين تتحدى بنات العشرين جمالاً وحيوية .

كانت تقول بلهجتها الشامية غير المتكلفة :

ورغم كل هذا العشق والهيام ، لم يمض على زواجنا قليل ولا كثير حتى أخذ يذيقني العذاب أشكالاً وألواناً . فما من شيء كان يحلو له كاثارة غيرتي بكل مالديه

من أساليب شيطانية . حتى كنت أشعر أحياناً كأنني في أتون من نار . أتصدقون أني رأيتـــه مرة يلوث منديله بأحمر الشفاه ليوهمني ان له عشيقة وهذه آثارها على المنديل .

كانت تتكلم وهو ينظر اليها مأخوذاً وكأن الخمسة والعشرين عاماً التي قضاها مع زوجه لم تطفىء بعد بريق الحب في عينيه . ثم قال وكأنه يريد أن يبرر نفسه .

ماذنبي أنا ؟ إذا كانت هي تعمل من الحبة قبة ، ومن الزبيبة خمارة . كنت أمل الحياة الهادئة الرتيبة فأثير أمثال هذه المشاكل الممتعة بالنسبة الي ، وهي من الحياة في نظري كالملح من الطعام .

فقالت زوجة الكاتب اللبناني :

أوكان يحلو لك دائماً أن ترى **الدخان** ، أعني دخان الحب لتطمئن ان **النار** مازالت مشتعلة .

فأجابها بظرفه المعتاد :

وهذا أيضاً ألا تجدينه سبباً وجيهاً ياسيدتي ؟ ....

أجابته ضاحكة بل كل الوجاهة .

ثم تابعت زوجه حديثها فقالت :

استيقظت ذات صباح ، وصحتي على غير مايرام . فآثرت البقاء في سريري ، ولاحظت انه منهمكاً في ارتداء ملابسه يستعرض كل مالديه من أربطة العنق فيختار أزهاها وأثمنها ، ثم يضع في جيبه منديلا ملائماً لها ويحكم في عروته زهرة حمراء ، حتى إذا فرغ من تأنقه ، وأنا أرمقه صامتة ولكن بعين يقظـة . التفت الي وقال :

أنا اليوم مدعو على الغداء فلا تنتظري مجيئي . فسألته :

ومن هو الذي دعاك ؟ ..

فحدجني بنظرة ساخطة ثم تبرم وقال بتهكم :

وهل من الضروري أن تعرفي دائماً من يدعوني ؟

ثم صفق الباب وذهب . وذهلت من تصرفه هذا . وما كاد يبتعد قليلا حتى تنبهت من ذهولي ، وشعرت كأن ناراً اتقدت فيّ ، ولم أعد لأطيق المكث في السرير رغم ضعفي . فأخذت أذرع أرض غرفتي جيئة ، وذهابا . والشيطان يوسوس لي ويمعن في وسوسته . لاشك انه على موعد مع امرأة ... إخاله قد اغتنم فرصة مرضي فرتب هذا الموعد . ترى أي لعينة تلك التي أغوته ؟ . ولكن سوف لا أجعله يفلت من يدي هذه المرة أبداً . ولن أدعـــه ينعم بموعده مهما كلفني الأمر .

وكان وقتئذ يشغل وظيفة في احدى المصالح . فأيقنت ان موعده على الغداء تماماً . أي بعد انتهائه من عمله . فأخذت أنتظر الوقت وأنا نافذة الصبر . فلما حان الموعد ارتديت ملاءة طباختي ذات الطراز القديم والحائلة اللون ، وحذاءها البالي . ووضعت على وجهي نقاباً كثيفاً جداً ، وسرت في زي هذا الزري المضحك حتى مصلحة الحكومة التي يشتغل فيها ، ووقفت أرقب خروجه عند الباب . وبدأ الموظفون يخرجون زرافات زرافات ثم رأيته يهبط الدرج بجبروت مزهواً بقوامه الفارع ، وما كاد يسير بضع خطوات حتى تبعته ، ولكي أكون على مقربة منه تماماً حاذيته ، ثم مددت اليه يدي أسأله العطاء ، وأنا أتمتم بالدعوات كما اعتاد أن يفعل المتسولات في الشوارع . فأخذ يفتش جيوبـه ولما لم يجد بها ما يعطينه قال لي :

على الله ...

فأيقنت انه لم يرتب من أمري أبداً . وتابعت سيري وراءه ، ومازلت ألحّ عليه بالسؤال ، وهو يتهرب مني ، حتى رأيته يتجه نحو سيارة واقفة في ذروة من الطريق وقد لمحت فيها امرأة وشخصاً آخر لم أتبينه ... فأخذ جسمي يضطرب ، وأوصالي ترتعد . وإذا هو يلتفت اليّ ويقول بنزق :

وأخيراً أتذهبين من امامي أيتها المرأة ، أم أقذف بك بعيداً ؟ .

وعندها أسفرت عن وجهي وقلت له :

ياخداع ! ... أتستطيع أن تكذب علي هذه المرة أيضاً وقد رأيتك رأي العين ؟ قل من هذه التي بالسيارة ؟؟؟

فقفز من أمامي مرتاعاً وهو يقول :

أنت ؟ أعوذ بالله منك ! يالك من مجنونة !! ... ما الذي حـــدا بك لتفعلي مافعلت ؟ وكيف استطعت أن تتركي السرير ؟ .

وأخذت أصوات الضحك تتعالى من السيارة ، ثم فتح بابها ونزل أخوه وامرأته وأخـــذا ينظران الي ويتابعان ضحكها بصوت عال . ثم قالت امرأة أخيه :

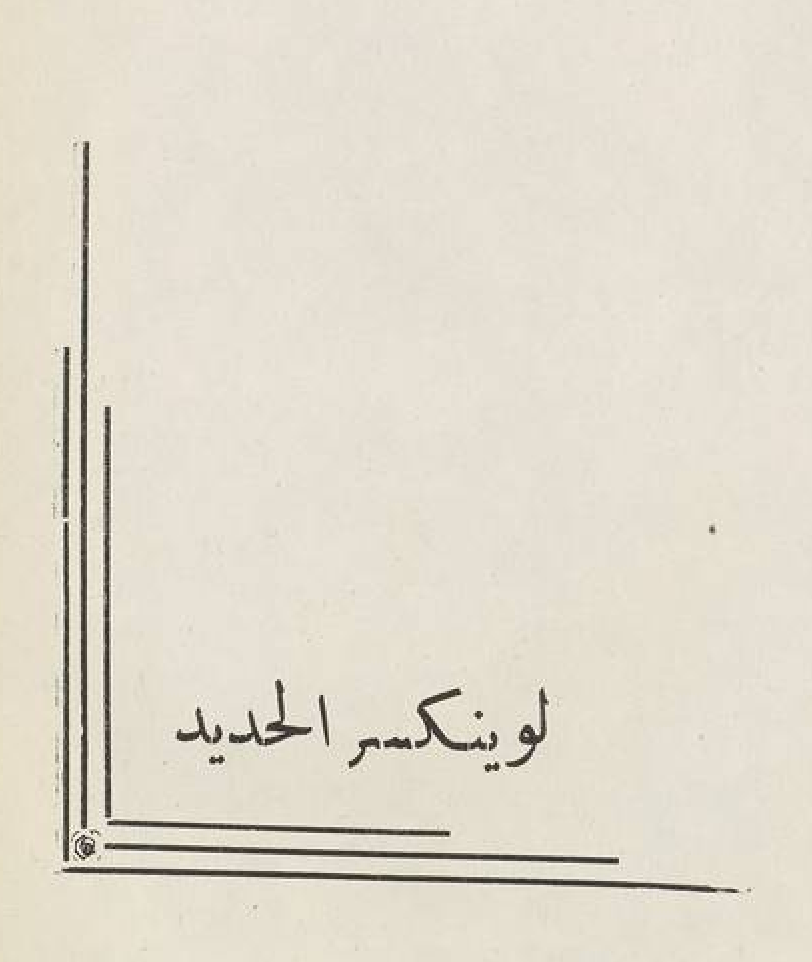
يالها من مفاجأة سارة ! كنا ننتظر زوجك لنأخذه معنا الى ضيعتنا حيث دعوناه ليتناول الغداء معنا هناك . وكم تمنينا أن تكوني معنا ، ولكن بلغنا انك مريضة لاتستطيعين أن تبرحي سريرك . ولكن لحسن الحظ ها أنت ذا قد أتيت وعلى اتم أناقة ..

وتعالى صوت الضحك مرة ثانية على قارعة الطريق . وأنا أكاد أتمزق غيظاً ، وصممت ان أعود من حيث اتيت .

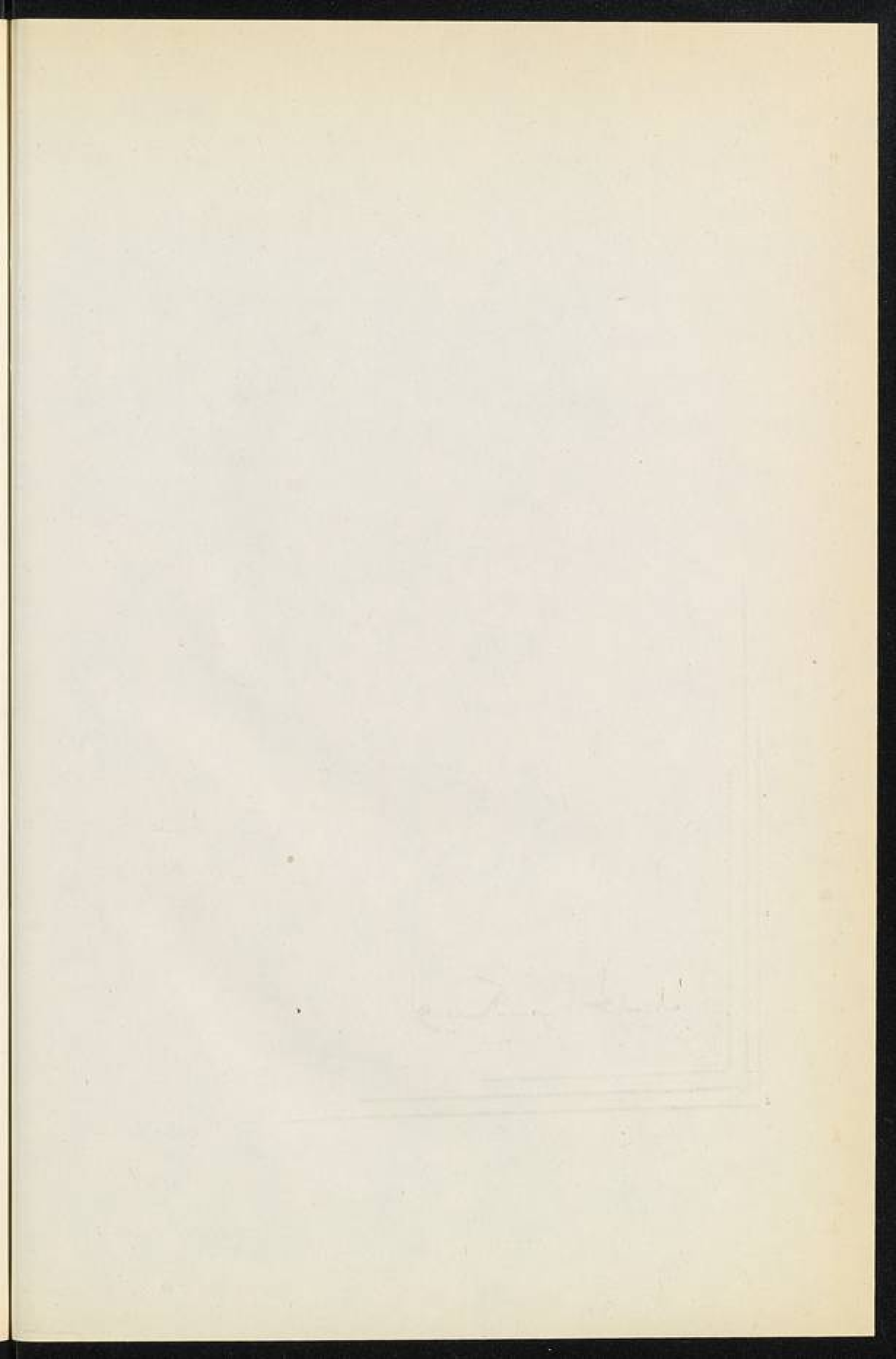
ولكنني لم استطع التخلص منهم ، فذهبت الى الدعوة بزي الزري هــذا . وكانت حادثة مازالت أسرتنا تتندر بها الى الآن . ومازال زوجي يتخذها حجة ضدي كلما اراد ان يدلل على غيرتي العمياء .

كانت تقص حكايتها بطلاقة جذابة ، والسيدة المصرية الأنيقة صامتة على غير عادتها . تدخن اللفافة تلو اللفافة ، وهي تنظر الى الأفق البعيد وقد صبغته الشمس الغاربة بلون الأرجوان . وكأن خيالها يسبح في أجواء بعيدة ... ترى هـــل أثارت بها القصة ذكريات عزيزة ؟ أم تراها تغبط الزوجين على نعماء الحب ، رغم مافيها من **نار ودخان** ؟ ...





لوينكسر الحديد



لو ينكسر الحديد

آه يا أبي المسكين ! إن أنس فلن أنسى ذكراك المؤلمة .... وتلك الصرخة المدوية التي ناديتك بها عندما نطق القاضي حكمه بحبسي خمسة عشر سنة !! ... فوقعت حينئذ في قفص الاتهام مغشيا علي . انني لم أفكر شهد الله آنئذ بهول تلك السنين الطويلة التي سأقضيها بالسجن بقدر مافكرت فيك أنت المريض المقعد الذي لا عائل لك سواي . كيف سيقع عليك الخبر ؟! ومن سيتفقدك ويرعاك ! ستموت !! وفي الموت راحة لأمثالنا . ولكن كيف تموت ؟ أجوعاً وعطشاً ؟ أم قهراً وكمداً ؟ ...

كأني أسمع نشيجك وقد بلغك خبري فاستسلمت الى بكاء لاينقطع ، وكأني أرى دموعك تنهمر فوق وجهك الوديع فتبلل لحيتك البيضاء . إن قلبي لينفطر عليك أبي .... ، أناقم أنت علي ياترى ، أم مشفق ؟ ؟ أحاقد ، أم راحم ؟ .

إني لأذكرك الآن يوم كنت في الثالثة عشرة وقد ماتت أمي فمنينا بأول نكبة . فمازلت تواسيني ، ومازلت أواسيك حتى تغلبنا على الحزن . واصبحت على صغري سيدة بيت ، أتذكر كيف أنتظر مجيئك مساء كل يوم أمام الباب ، ولما يطالعني وجهك الحنون من أول الحارة كنت أهش لك ، وأسرع اليك ، فأتناول السلة من يدك ، وأهرع الى المطبخ أفرغها ، فأجد فيها كل مايلزمنا من طعام وفاكهة ، ودائماً فيها شيء خاص بي ، إما مجلة مصورة ، أو منديل زاهي ،

أو قطعة من الشوكولاتة . وكنت تخلع ثياب عملك الملوثة بالدهان وتأتي الى المطبخ تساعدني بالطبخ . وكان الجيران يسمونني (المدللة) . وكم كنت أتيه وأعتز بهذه التسمية ،

وكأنك كنت تخشى علي الدلال ، فناديتني ذات صباح ودفعت الي صحيفة يومية وطلبت مني أن أقرأ لك الأخبار المحلية ، فلما انتهيت الى خبر مفاده أن أباً قتل ابنته لأنها زلت ، قلت لي :

نعم مافعل ، تسلم يداه هكذا يجب أن تجازى الخاطئات ... وأخذت تكررها بلهجة حازمة . وفهمت أنا أنك تريد أن تلقي علي درساً ، فضحكت في سري من هواجسك ، فما كان أغناني عن هذا الدرس .

وفي مساء ذلك اليوم بالذات حلت بنا النكبة القاصمة ، فقد وقعت من أعلى السلم وأنت منصرف الى عملك ، فحملوك الى دارنا مهشم الساقين ، وبعد علاج طويل التأمت جراحك ، ولكنك أصبحت مقعداً ، وعاطلا عن العمل ! !

أتذكر كم كنت بك بارة ؟ إنني لم أبرح غرفتك لحظة واحدة ، حتى كنت أنت تشفق علي فتطلب مني أحياناً أن أذهب فأزور الجيران ، أو بعض صديقاتي لأرفه عن نفسي قليلا ولكنني ما كنت لأفعل أبداً . وأنفقنا كل مالدينا من مال ، وأخذ شبح الجوع والعوز يكشر عن انيابه فيؤرقنا ليال طوال . كنت أسمع تنهداتك في بهيم الليل ، وأشعر أنك تبكي فأبكي أنا أيضاً في فراشي ، وكلانا يكتم ما بنفسه عن الآخر .

وفي غمرة هذا الضيق تقدم لخطبتي جارنا حسان ، ووافقت أنت لأنك وجدته كفوءاً لي ، فهو شاب جميل المحيا ، حسن السمعة والخلق . وماأظنك فكرت آنئذ بنفسك تجاه سعادتي .. أما أنا فقد رفضت هذا الزواج ، ورفضته بإصرار .

أتصدق يا أبي أنني كنت أحب ذلك الشاب حباً عميقاً ؟ فقد أمضيت معه طفولة سعيدة . ولما شببت وتحجبت كنت أرقب كل يوم مجيئه ورواحه ، فأسرع الى النافذة لأتزود منه بنظرة ، أو القي اليه تحية . ورغم كل ذلك رفضته من أجلك أنت .... لأنه فقير ! . وقد أصبحت أنشد زوجاً غنياً لكي يستطيع أن يعولني ويعولك . ولو كنت أحسن عملاً لكرّست نفسي لك ولم أفكر بالزواج أبداً ..

وبعد قليل جاء الزوج الغني . وكان عملاقاً بغيض الشكل ثقيل الظل . فترددت أنت وأشفقت علي . وأقدمت أنا .. وألقيت في روعك انه بغيتي المنشودة، فلم يبق لك أية اعتراض .

وكان الزواج وما عتمت أن اكتشفت خيبة أملي ! كان سيء الخلق ، يزيد في جفاء طبعه مافطر عليه من الأنانية والبخل . كنت أقاسي الأمرّين لأوفر مبلغاً يسيراً من المال أنفق منه عليك وعلى جارتك العجوز الطيبة التي أخذت ترعاك منذ تزوجت .

كم كنت أمقته يا أبي ... كانت تنبعث من فمه رائحة كريهة تتقزز منها نفسي ، فأشعر بميل الى القيء كلما اقترب مني . وكم كان يحلو له أن يلصق وجهه بوجهي فأشيح عنه متأبية . وما كان ليخفى عليه هذا الاعراض فينتقم مني بكل مايزعجني وينكد عيشي . كان يحرم علي أن أزور صديقاتي ، أو أستقبلهن في بيتي . كنت أعيش معه وكأنني في سجن . ولشد ما تعذبت واحتملت العذاب صابرة . كنت أخفي عنك كل ذلك ، وأوهمك أنني سعيدة راضية . ولذا كنت تعجب أشد العجب عندما ترى صحتي تسوء ، وجمالي يذوي ، وشبابي يذبل ! .

وذات مساء ، بينما كنت منصرفة من لدنك ، لقاني حسان ، فاقترب مني وحياني ، ثم قال لي دون مقدمة :

أنت مثالية ... عظيمـــة ... أنا لست حاقداً عليك لأنني أعرف تماماً لماذا لم تقبلي بي زوجاً لك ، وإني لمدرك الآن ما تقاسينه من مرارة وعذاب ...

وأصابت كلماته صميم قلبي ، فطفرت الدموع من عيني ، وانفجرت باكية . وكانت الطريق مقفرة فسار الى جانبي يواسيني .

ولما وصلت الى بيتي فتحت محفظتي وأخرجت المفتاح فسألني :

ألا يوجد في بيتك أحد ؟

قلت لا ... إنه يوم الجمعة حيث يذهب زوجي في مثل هـذا اليوم من كل أسبوع الى ضيعته يتفقدها ، وتعطل الخادم فتذهب الى زيارة أهلها .

فاذا هو يدخل البيت معي ... وترددت طويلاً ... وارتبكت ولكنني لم أقو على منعه ! لقد كنت وحيدة في هذه الحياة . وفي أشد الحاجة الى من أشكو اليه همي فيشعر معي ، ويواسيني .

ماذا أقول لك يا أبي ؟؟ . إن الندم والخجل يسكتانني تبكيتاً ! ! منذ ذلك اليوم أصبح حسان حبيبي المفدى .....

كان يوافيني الى بيتي كل يوم جمعة . وكنت أنتظره بصبر فارغ ، ونفس لاهفة . لقد أصبحت أستسيغ الحياة منذ أحببته . فعاد الي إشراقي ، وتحسنت صحتي ، حتى العملاق أصبحت أستطيع أن أحتمله أكثر من ذي قبل . فلا أشيح عنه متأبية ، ولاحظ هو هذا التغير فقدره لي ، وأخذ يغدق علي من ماله ، وأخذت أغدق عليك بدوري .

ولكن ذلك النعيم لم يدم طويلاً ! . فذات أصيل خرجت مع حسان الى الحديقة أودعه ، وكانت أمسية من أماسي الربيع الفاتنة ، وقد صبغ السماء شفق كلهب النار ، وفاحت روائح مسكرة ، وغرد شحرور فوق وردة يانعة . ولأول مرة بدت لي حديقتنا جميلة فاتنة . فاستوقفته قليلاً تحت ياسمينة فواحة العبير ، ولفت نظره الى سوسنة مختبئة بين الاغصان ، وسحبته من يده لأريه حوض

النيلوفر النادر . فأدركنا الوقت ونحن في غفلة حالمة ، فاذا العملاق ينتصب أمامنا ... ودون سؤال أو جواب سحب حسان من رباط عنقه ، وأخذ يكيل له اللكمات . ثم طرحه أرضاً وجثم فوق صدره وقبض على عنقه بكلتا يديه القويتين وأخذ يضغطه بكل ما لديه من قوة ... لقد رأيت عيني حسان تجحظان وكأنهما تبرزان من محجريهما .. إنه يموت ! ! .... ولم أعد أعي شيئاً ...

وتنبهت بعد حين على ضوضاء شديدة ، فاذا جمهور من الناس يلغطون حولي ، فلم أفهم مما يقولون شيئاً . ولم أدر من أين جاؤا ؟ وكيف اجتمعوا ؟ أكانوا مختبئين حولنا يرقبوننا ؟ . وجاء رجال من الشرطة فاقتادوني وحسان الى دائرة حكومية . بينما كان العملاق مسجى على الأرض ...

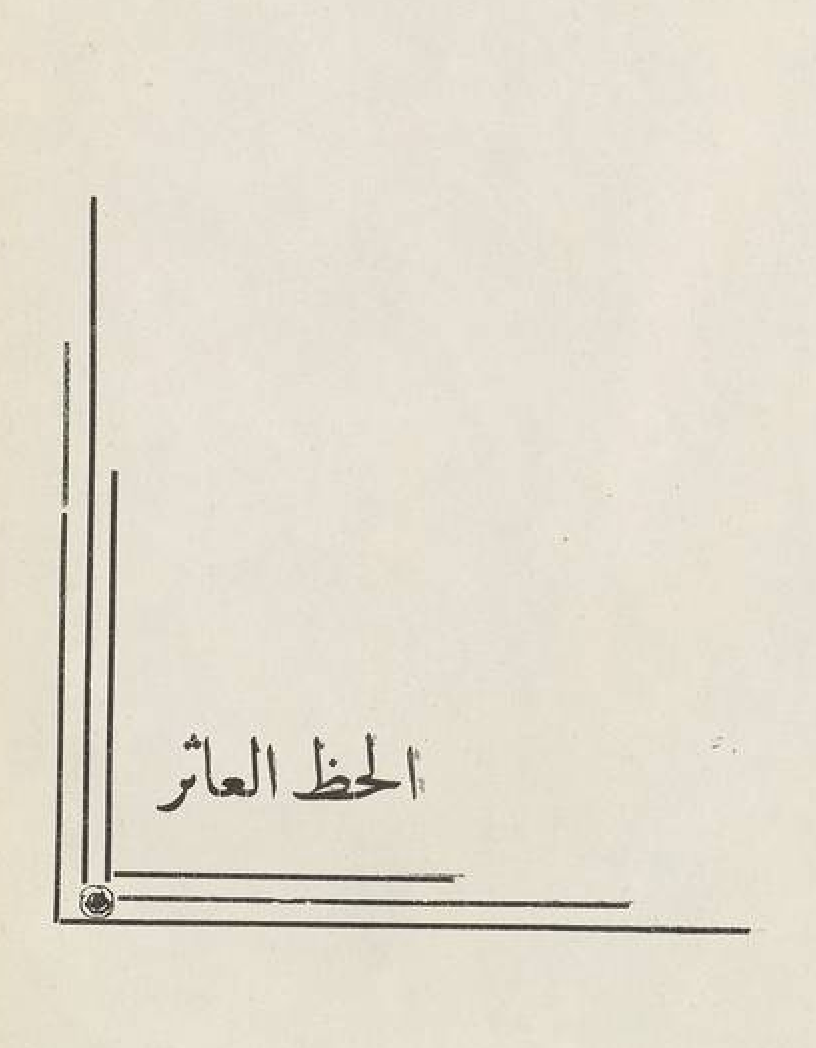
كنت ذاهلة حاولت كثيراً أن أجمع شتات ذهني فلم أفلح . سألوني كثيراً فلم أحر جواباً . يقولون أني تناولت فأساً كانت ملقاة على أرض الحديقة وهويت بها على رأس العملاق فحطمت جمجمته بضربة واحدة ...

ربما كان ذلك صحيحاً . ولكني لا أذكر منه شيئاً أبداً .

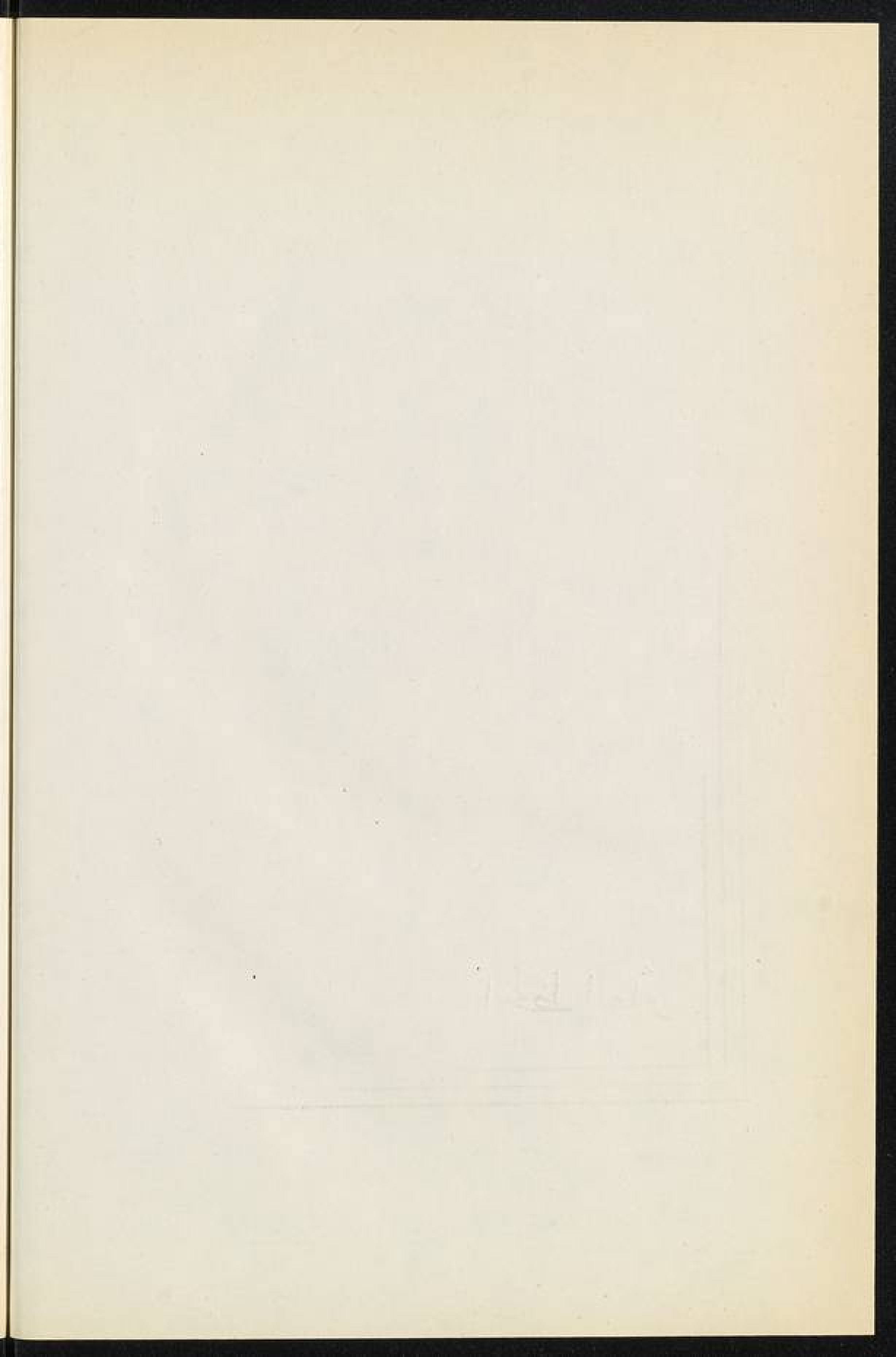
وبعد هذا كله أتجدني يا أبي أهلاً لغفرانك ؟ ؟ أم تتميز غيظاً ، وتتحرق حنقاً ، وتتمنى لو كنت سليماً معافى لتجازيني كما يجب أن تجازى الخاطئات ؟ ! فتمحو عارك بيدك ..

آه لو أستطيع أن أكسر حديد هذه النافذة الضيقة التي أمامي ، لو استطعت ذلك ، لألقيت بنفسي الى الشارع وهرعت اليك ...

ولكن سوف لا آتيك هذه المرة بفاكهة أو حلوى كما اعتدت أن آتيك ، بل سآتيك بسكين حادة النصل أضعها في يدك وألقي بنفسي أمامك ، ولك أن تغمدها أين شئت من جسدي ، ولكن **الحديد يا أبي المسكين لا ينكسر** !! ...



الحظ العاثر



الحظ العاثر

كان ثلاث صبايا طالبات في معهد داخلي . غافلن ناظرة المعهد في ليلة قمراء ، وغادرن اسرتهن وتسللن الى السطح ليسمرن في ضوء القمر . وكانت ليلة ساجية الامن نسائم بليلة تحمل عبير الازاهير . وقد غمرت الكون نشوة ممتعة تبعث في النفوس سروراً واطمئناناً ، وتغريها بالاسترسال في أحلام حسان عذاب .

واتفق أن كان ملاك الحظ وملاك الرحمة يتنزهان . فسمعا كركرة الصبايا وثرثرتهن فقال ملاك الرحمة :

تعال يا اخي لنمتع النظر برؤية هؤلاء العذارى يرفلن بغلائلهن البيضاء الهفهافة ، ونلهو بالاستماع لأحاديثهن البريئة العذبة . وحط الملكان على السطح .

وكانت تتكلم شقراء وردية اللون لكلامها جرس ساحر ونغمة أخاذة قالت :

تسألانني ياصديقتي عما إذا أتيح لي الاختيار أي الرجال أفضله زوجا .

اني أريده ثريا واسع الثراء ، ذا مقام رفيع وجاه عريض ولا يهمني إذا كان عجوزا دميما ، أو بليداً سمجاً . لأنني سأصرف من وقتي مع الناس أكثر مما سأصرفه معه . ويكفيني أن اسكن قصراً منيفاً ، وأقتني أفخم السيارات ، وأرتدي أحدث الازياء ، وأتحلى بأثمن الحلي وأندرها ، ثم أقيم المآدب والحفلات أدعو اليها علية القوم ، فأتصدر المحافل ، وأجعل من منزلي ندوة لأساطين الفن ، وعباقرة الأدب ، ودهاة الساسة .

ولم تكد تصل في حديثها الى هنا حتى قطعته عليها سمراء هيفاء ذات اهداب طويلة قالت :

أنا على عكسك تماماً ، لأنني أريده ذكياً ، وسيماً ، ظريفاً ، كيساً ، وافر العلم والادب ، ولا يهمني إذا كان فقيراً مملقاً ، أو مغموراً منسياً ، فيكفيني أن أحبه ويحبني وأخلص له ويخلص لي .

وما انتهت الى هنا حتى رنت ضحكة ساخرة أطلقتها صغيرة عاجية اللون ، ذات شعر فاحم قالت :

يالاسخف ! هلا كان الغنى والجاه ! إلاحيث الشيخوخة والدمامة ؟ ! وهلا كان الصبا والجمال الاحيث الفقر والاملاق ؟ !

انني أريده شاباً جميلا ، ذكياً ، غنياً ، ذا مقام وجاه .

وهيمن السكون على الفتيات الثلاث ، وأخذن ينعمن باحلامهن العذاب .

ثم قال ملاك الرحمة لملاك الحظ :

ماعليك يا أخي لو حققت لهؤلاء العذاري أمانيهن ؟ .

قال : أحقق لهن أمانيهن ؟ إنك يا أخي لاتدري من امرهن شيئاً .

فاجابه ملاك الرحمة :

لقد صدقن عندما وصفنك بالقسوة ، والحمق ، والرعونة . والله لو كنت مكانك لحققت لكل صبية أمنيتها .

فضرب ملاك الحظ كفاً على كف وقال :

يحقق لكل صبية أمنيتها ! **لقد عشت دهوي ابذل لهن جهدي فما فزت بارضائهن !** .

ولكن ملاك الرحمة ثبت في مكانه وابى أن يريم وقال :

والله لاابرح مكاني حتى تبتسم في جوه هؤلاء العذاري ابتساماتك العريضة التي تحقق صعاب الاماني ، ونوادر الاحلام

فلم يشأ ملاك الحظ أن يخيب رجاء صديقه فابتسم في وجوه العذارى ابتسامة عريضة لاح منها نور باهر ، كالبرق الخاطف عشيت منه عيون العذارى ، وخفقت

له قلوبهن ، فحسبنه ليلة القدر ، فتمتمن بالدعوات ، وتقـدمن بالرجيات ، وقمن الى اسرتهن خاشعات فنمن حالمات هانئات .

وما انقضى العام حتى كان ملاك الحظ قد وفى لهن احسن الوفاء .

فتزوجت الاولى بشيخ غني اخذ يغدق عليها الخيرات كما تمنت تماماً .

وتزوجت الثانية ببطل من ابطال الرياضة تملأ العين وسامته ، ويثير الاعجاب ظرفه وكياسته .

وتزوجت الثالثة بوارث شاب ، قد جمع الى الصبا والجمال ضخامة الثروة ، وعراقة النسب .

ودارت عجلة الزمن . وملاك الحظ لاه عن فتياته الثلاث ، ماض في عمله ، لا يكل ولا يمل ، يبتسم في وجوه فيرفعها إلى أعلى عليين ، ويعبث في وجوه فيهبط بها الى اسفل السافلين .

واتفق أن مر مرة أمام المعهد الداخلي . فرابه ان رأى فيه حركة غير عادية ، فاستطلع الخبر فعرف ان المعهد يقيم حفلة بمناسبة يوبيله الخمسين قد دعا اليها جميع خريجاته مع أسرهن .

وكانت تتصدر الحفل الشقراء الوردية اللون ، ذات الجرس الساحر . وكان الى جانبها شيخ عجوز يبدو بليداً سمجاً . وقد تدثرت الصبيـــة بفراء فاخر . وأخذت تلمع عليها الجواهر واللآلي.

ولكن ملاك الحظ رابه أن رأى على وجهها كآبة ظاهرة ، تحاول ان تتغلب عليها بالكلام مرة ، وتصرفها بالابتسام مرة . لم يخف عليه معناهـا ، فأرسل نظرة فاحصة من عينيه النفاذتين اخترقت نفس الصبية حتى بلغت أعماقها فاذا هي تخاطب نفسها قائلة :

ياحظي العاثر ! لقد أسأت الاختيار عندما تزوجت من هذا العجوز الذي يطالعني بدمامته إذا اصبح الصباح ، ويلاحقني بسماجته إذا امسى المساء ، يرافقني اينما ذهبت ، ويتبعني حيثما وليت . ولا اذكر اني اتفقت معه على رأي مهما كان ،

انما اجامله ويجاملني . مالي ولهذه المظاهر الكاذبة ؟ لقد ضقت به ذرعاً ...

قالت ذلك واستقرت عيناها على شاب وسيم جميل قد تحلق القوم حوله ، يضحكون من نكاته اللطيفة ، ويصغون لحديثه الطريف . ويعجبون بأناقته ولباقته . وكانت الى جانبه السمراء الهيفاء ذات الاهداب الطويلة . ولكنها كانت تبدو صامتة ساهمة ، شاردة اللب ، كأنما قد شغلت بما في نفسها عمن حولها . فارسل ملاك الحظ نظرته الفاحصة التي تسبر غور النفوس . فاذا هي تخاطب نفسها قائلة :

ياحظي العاثر ! لقد أسأت الاختيار عندما تزوجت من شاب لاهم له الا ان يوزع ظرفه وكياسته على الناس ، لأنه لا يمل من مديحهم واطرائهم . لقد مللت نكاته بعد ان سمعته يرويها للناس مئة مرة . وماذا افدت أنا من كل هذه الوسامة والقسامة ، والأناقة واللياقة ، والظرف والكياسة سوى أن أعيش الى جانبه مغمورة منسية . ياليتني تزوجت غنياً . قالت ذلك والقت نظرة عجلى على ثيابها البسيطة ، وحدجت رفيقتها الشقراء بلمحة استطاعت بها ان تقدر ثمن الفراء الفاخر ، واستقرت عيناها على الخاتم الماسي الكبير الذي حال بريقه واشعاعه دون تقدير حجمه وثمنه .

ثم قال ملاك الحظ في نفسه :

أين الصغيرة العاجية اللون ذات الشعر الفاحم ؟ لعلي قد أفلحت معها حيث أخفقت مع رفيقيها .

وأخذ يفتش عنها في أرجاء المعهد فلم يجدها ثم سمع صديقتيها تسألان عنها ناظرة المعهد ، فتجيب هذه انه ورد منها اعتذار عن الحضور فهزت الصديقتان رأسيهما وقالتا في نفسيهما :

ياللسعادتها ! انها لاتجد في وقتها الحافل بالمسرات ، والمآدب ، والحفلات

متسعاً لحفلة سخيفة كحفلة المعهد .

ولكن ملاك الحظ أحب ان يتحقق ذلك بنفسه . فطار الى قصرها خفيفاً ، فراعته الحديقة الواسعة ، وادهشه القصر المنيف والخدم والحشم يروحون ويجيئون في أرجائه ، وبهره الرياش الفاخر والتحف النفيسة . ثم أخذ يفتش عن ربة القصر الى ان عثر عليها وقد اوصدت باب غرفتها واخذت تبكي بكاءمراً . فقال :

يالكنود الكافرة ! ماخطبها أيضاً ؟؟

فاذا هي تخاطب نفسها قائلة :

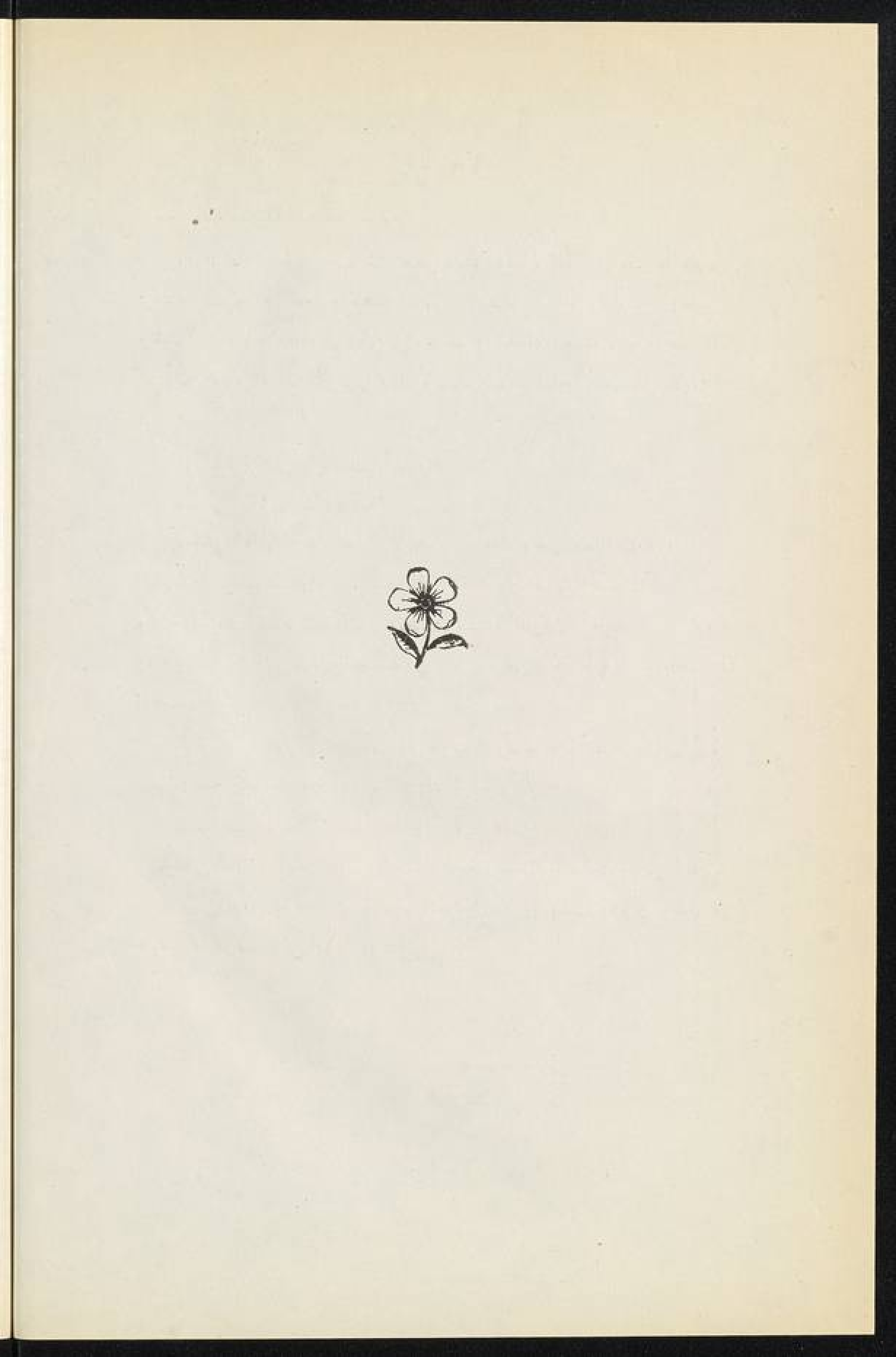
ياحظي العاثر ! لقد أسأت الاختيار عندما تزوجت هذا الشاب المتلاف ، الذي يبذر المال يميناً وشمالاً ، فتتخاطفه الاندية ، وتتسابق الجمعيات الى دعوته ، ويلاحقه رفاق السوء بشباكهم ، وتطارده النساء الغاويات بأحابيلهن . فلم يجد في وقته متسعاً ليرافقني الى حفلة حبيبة الي ، عزيزة علي كحفلةالمعهد . وخجلت أن اذهب وحدى حيث رافق صديقاتي أزواجهن .

ياليته كان عجوزاً لكان سعى الى مرضاتي ولمااستطاع أن يخالف لي رغبة . او ليته كان شابا فقيراً لما كان حاول أن يشاركني به احد .

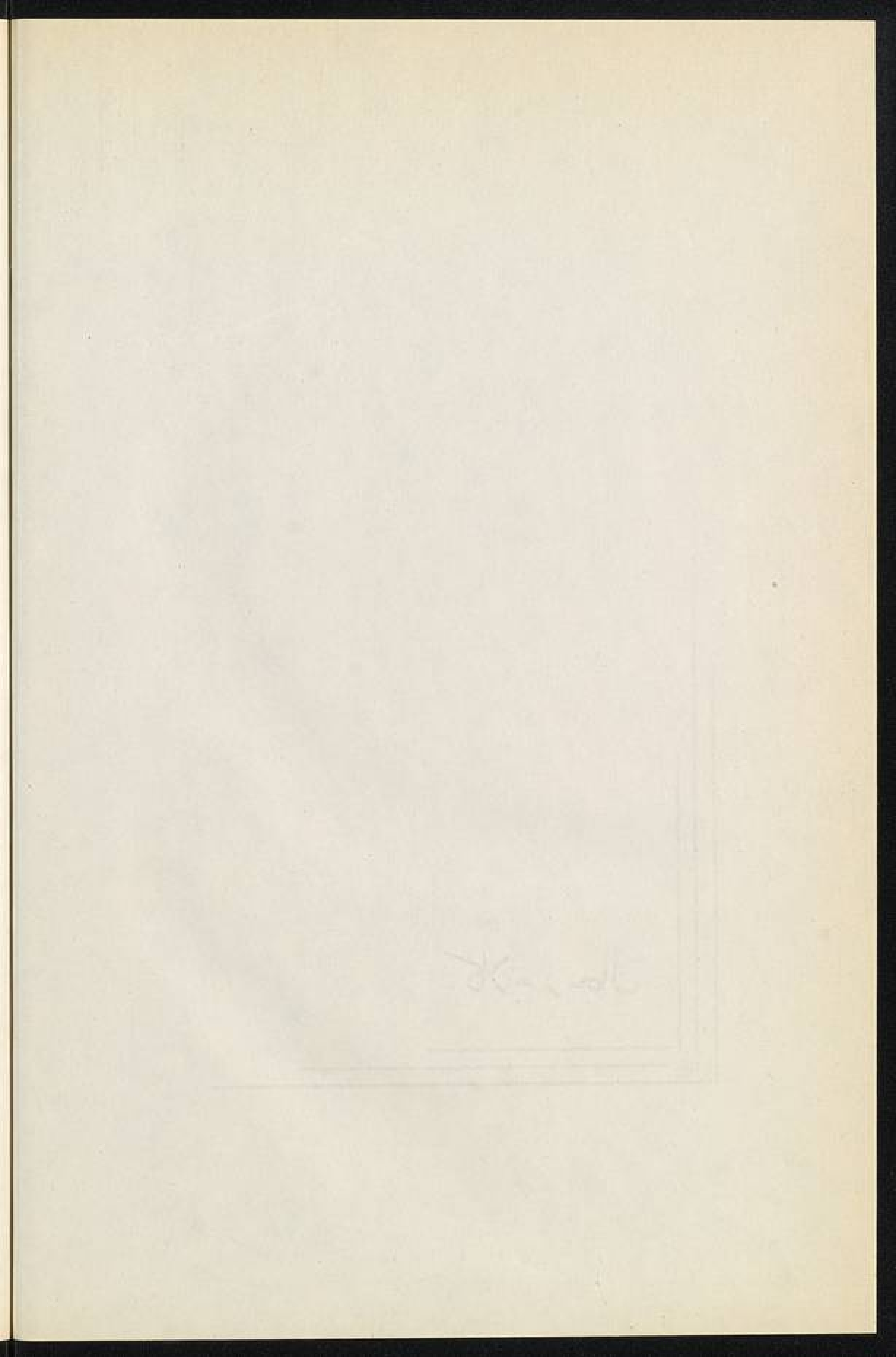
وعندئذ ضرب ملاك الحظ كفاً على كف وقال :

ياحظي العاثر ! لقد اسأت الاختيار عندما رضيت أن اكون ملاك الحظ ...

اين ملاك الرحمة ؟ ليرى بعينيه ويسمع باذنيه اني **عشت دهري ابذل لهن جهدي فما فزت ولن افوز بمارضائهن** !!.



كلام رجال



كلام رجال

بدأت تباشير الصباح ، وأطلقت المدافع احدى وعشرين طلقة معلنـة فجر العيد . وأم حسن مازالت تتقلب في فراشها لم يغمض لها جفن طوال هـذه الليلة الثقيلة . وكيف يعرف النوم الى جفنيها سبيلاً ووحيدها حسن الذي ترى فيه مناط هنائها ، وغاية املها قد هجر البيت عقب اول خلاف نشب بينها وبينه بعـد موت أبيه .

لقد بدأت تشعر بالندم ، وتعترف في قرارة نفسها أن تصرفها مع ولدهـا لم يكن تصرفاً لبقاً ولا حكيماً . ان توجيه الاولاد في فجر شبابهم يحتـاج الى كثير من الحكمة وطول البال ، وهي لاتنقصها تلك الصفات ، ولكن بئست الساعة التي دخلت فيهـا المطبخ ! فرأت خادمتها زهراء بين ذراعي ولدها حسن يتبادلان قبلة طويلة لعلها كانت قبلة العيد .... أما كان يجدر بهـا أن تعود من حيث أتت دون ان يشعرا بها ، ثم تتدبر الامر بحكمة وروية ، فتلجأ الى الحيلة والمداراة لتخرج من مأزق حرج وجدت نفسها فجأة فيه ..

لعن الله ساعة الشيطان ! ساعة الغضب التي تخرج الانسان عن طوره مهما كان حكيما . لقد سيطر عليها الانفعال فلم تعد تذكر من كل ماقالته لها من السباب والشتائم سوى قول ابنها بوقاحة لم تعهدها فيه :

ـ إذا طردتها سأذهب معها . ولن ترى وجهي ابداً .

ـ الى جهنم الحمراء أنت وهي . أجابته بحدة دون تفكير . فاذا هما بعد قليل يفتحان الباب ويذهبان دون أن يلتفتا اليها كأنهما على استعداد لهذه المفاجأة .

أيصدر هذا عن حسن ؟ ولدها البار الذي كان يأتمر بأمرها فيحب ماتحب ، ويكره ماتكره . وقد قارب العشرين وما ارتفع صوته فوق صوتهـــا ابداً . كم كانت تفاخر بجاراتها وصاحباتها معددة طيب صفاته ، الا يشمتن بهـا عندما يبلغن الخبر ؟ اينقلب بين ليلة وضحاها من طيع دمث ، الى شرس جحود ، من اجل فتاة حقيرة انتشلتها هي من البؤس ولما تتجاوز السابعة من عمرها فاسبغت عليها ما أسبغت من عطفها وحنانها حتى اذا استوت فتاة يانعة طمعت بسيدهـــا حسن ؟ !

أنسيت اللعينة أنها ابنة غسالة معدمة ؟ ياللخبيثة كم كانت تجيد تمثيل الطهر والعفاف !!

ولكن أليست الخطيئه خطيئتها ؟ كيف لم تحسب حسابا وهي المرأة الخبيرة التي حنكتها السنون ، لما يتوقع حدوثه بين شاب غرير ، وصبية فاتنة في فورة الشباب يظللها سقف واحد ؟

ولكن لابأس فما هي الا سحابة صيف ستنقشع عما قريب وسيعود حسن الى صوابه وستعرف كيف تؤدب الكنود الماكرة ...

ثم أخذت تندب حظها العاثر ، وما آل اليه حالها بعـــد موت زوجها . أين عزها القديم ؟ وأين أعيادها الماضية من هذا العيد ؟ يوم كان بيتها يعج بالمهنئين وبفقراء الحي يوزع عليهم المرحوم لحم الأضاحي ، وعلى صغارهم حلوى العيد ، التي كانت تصنعها بيدها طول الليل حتى تملأ منها الصواني . واين حسن الصغير الوديع ، من حسن الشاب الوقح ؟ . ماأجمل الأولاد صغاراً !

وتمثل لها صغيرها حسن ليلة العيد كيف كان يبيت ثيابه الجدد وحـــذاءه اللامع قرب سريره ، حتى إذا استيقظ باكراً ارتداها عجلا ، ثم أخذ يطالب أمه واباه بالعيدية فرحا مستبشراً ، فيملأ البيت غبطة وسروراً . وتساقطت من عينيها الدموع على تلك الأيام الخوالي ! .

ثم نهضت إلى صلاة الفجر ، ودعت الله دعاءً حاراً ليهدي ابنها سواء السبيل، ويقيه عثرات الشباب ، ويعصمه من شر النساء الفاجرات . ثم أخذت ترتدي ثيابها وكأنها كانت تتعمد احداث ضجة في البيت تقد ضايقها السكون الشامل ، وشعرت بالوحشة المطبقة ولم تجد احداً لتصحبه معها الى المقبرة لتزور قبر زوجها في صبيحة العيد كما هي العادة ، واضطرت ان تنادي اجير الخبــاز القريب من دارها وتعطيه بضعة قروش ليحمل لها اغصان الآس التي اشترتها البارحة لتزين بها قبر المرحوم زوجها كما هي عادة الدمشقيين في الأعياد ، وأخذت تحث الخطا نحو المقبرة لتبلغها قبل شروق الشمس . ولما وصلتها رأت الشيخ عبدالرزاق الذي اعتاد التلاوة على قبر المرحوم قد تبعها واتخذ سمته امام القبر ، واخذ يقرأ بصوته الحنون اي الذكر الحكيم . ولكنه لاحظ ان ام حسن على غـير عادتها ، تبدو شاردة اللب كأنها في غير هذه الدنيا ، فهي لم تحيه تحية العيد ، ولم تسأله عن حاله واولاده ، ولم تقرأ الفواتح وتهبها لموتاها دامعة العينين كما كانت تفعل في مثل هذا اليوم من كل سنة . وما بال ابنها حسن لم يأت معها كعادته ؟ ثم رآها تنظر بعينين زائغتين في ارجاء المقبرة الواسعة وكأنها تترقب أحداً ، او كأنهـــا ترى المقبرة لأول مرة في العيد وتعجب كيف استحالت الى غابة من اشجـار الآس والصنوبر فما من قبر عـلا او تواضع الا وزين بالاغصـــان الخضر ، وهي تعج بالناس وقد كساهم العيد ألبسة زاهية . وكأن الوفاء يحتم عليهم ان يبدؤا يومهم بزيارة موتاهم لينصرفوا بعدئذ الى افراح العيد .

ولكن ابنها حسن لم يكن بينهم ، ياللولد العاق ! أيتخلف عن زيارة قبر ابيه في مثل هذا اليوم ؟ كانت تأمل ان تجده هنا فتستحلفه بحرمة الراحل العزيز ان يعود الى البيت ، ومن ثم يعود التفاهم بينها ويشعر بخطيئته الكبيرة وعندئذ تسعى لتزويجه من فتاة عريقة تليق به . ولكنه لم يأت ! لقد همت ان تشكو همهـا الى الشيخ عبد الرزاق عساه يجد لها مخرجا فهو صديق العائلة من عهد زوجها ، ولكنها

خافت الا يكتم السر ، فأكثر ماتخشاه ام حسن ان يشيع الخبر فيبلغ مسامع جارها الحاج عبد الصمد ، زعيم الحي ، واكبر ثري فيه . لقد عزمت ان تخطب ابنته الصغرى الى ابنها حسن . وهي على يقين انه لايرفض الخطبة ابداً . وهل هناك صهر خير من حسن ؟ زين شباب الحارة ، شكل حلو ، واخلاق عالية ، وسمعة طيبة ، ومن كل علم خبر . وما بدر منه البارحة سيظل طي الكتمان إذا عرفت هي ان تدبر الامر وبسرعة البرق حسبت ثروة الحاج عبد الصمد وثمنت املاكه وضياعه بالليرات الذهبية ، ثم قسمت الحاصل بين زوجتيه وصبيانه الثلاثة وبناته الخمس . فنالت كل بنت خمسة آلاف ليرة ذهبية ...

خمسة آلاف ليرة ذهبية ! اخذت ام حسن تكرر هذه الجملة بزهو وتقول في نفسها :

وان لم تكن لابنة الحاج عبد الصمد قوام الخادمة زهراء اللدن . ولا بشرتها الناصعة ، ولكن خمسة آلاف ليرة ذهبية الا تطيل القامة القصيرة ، وتبيض الوجه الأسمر ؟

ولم يقطع سيل تفكيرها سوى قول الشيخ عبد الرزاق : صدق الله العظيم . فوضعت في يده شيئاً من المال ، دسه في جيبه وهو يتمتم بالشكر والدعوات .

وعادت ام حسن الى بيتها مبلبلة حيرى ، وهي ترجو ان تجد ابنها قد سبقها اليه . ولكن املها قد خاب . وبدا اليأس يتسرب الى نفسها . وما كادت تستقر قليلا حتى طرق الباب وجاءها جارها الحاج عبد الصمد زائراً . فاستقبلته مرحبة مرتبكة ، وقد طفر الدم الى وجنتيها وتساءلت : ما الذي جاء به باكراً ؟ وماذا تقول له إذا سألها عن ابنها حسن ؟ اما هو فقد بادرها قائلا : جئت يا ام حسن اسألك امراً ، وانا على يقين انك لاتخالفين لي رغبة ، فعديني بحق الجوار عليك وبرحمة المرحوم ان تنفذيه لي مهما كان صعباً . وانا اعرف ان **كلامك كلام رجال** .

ولهذه الجملة سحر عجيب في نفس ام حسن فلا شيء يعدل في نظرها ان يكون كلامها كلام رجال .. فقالت في نفسها :

لعله جاء يسألني ان ابيعه قطعة الأرض المتاخمة لبيته ليوسع بها حديقته ، وكان قد طلبها من المرحوم فأباها عليه .

— انا طوع امرك ياحاج عبد الصمد ، ياجار الرضى على ان تنفذ لي ايضاً ما ما اريده منك مهما كان عزيزاً عليك .

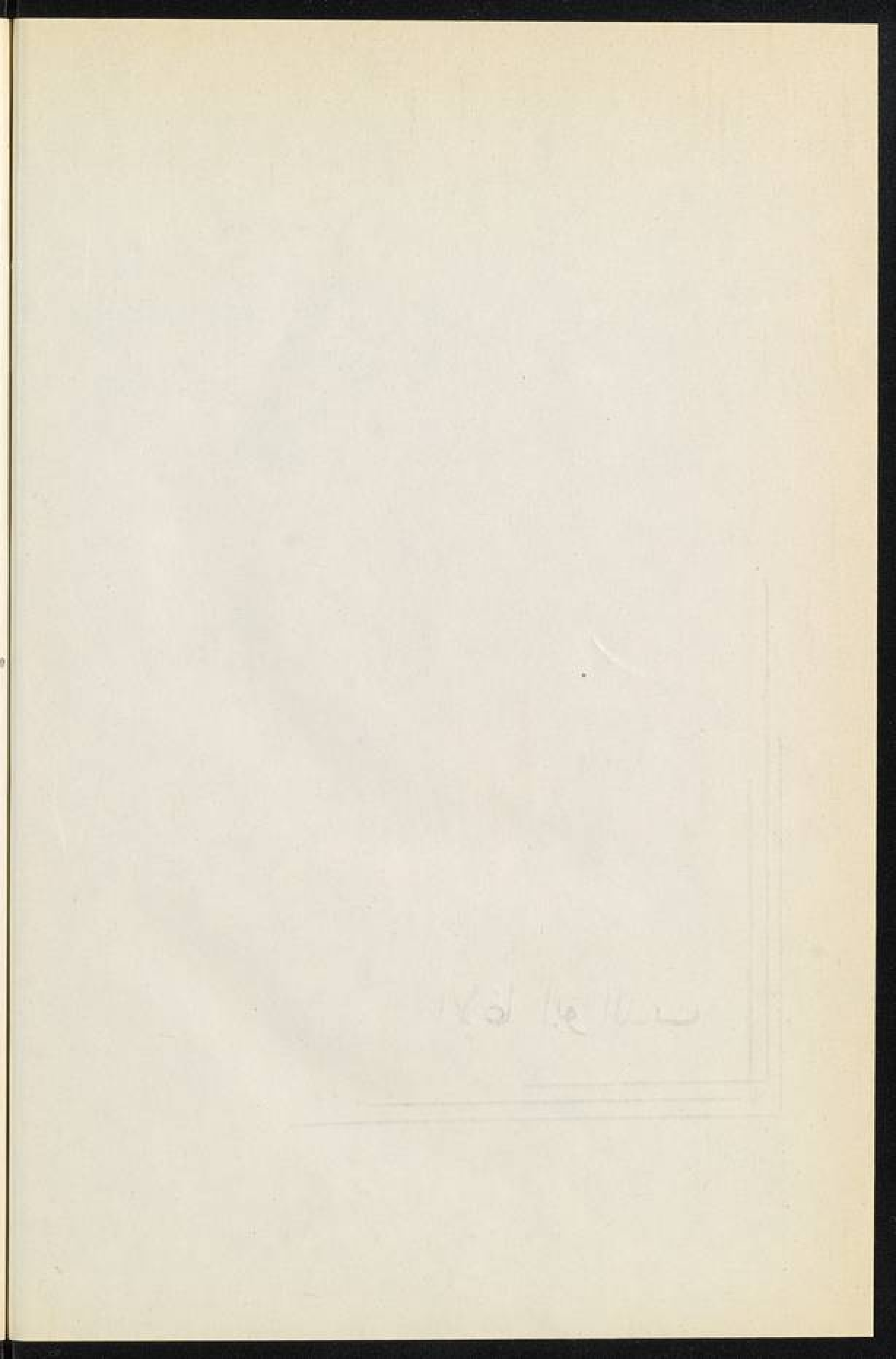
فاخذ الرجل الماكر يعبث بلحيته ويخفي ابتسامة ولعله ادرك بفطنته ماتريد فضحك في نفسه وقال لها :

— واي شيء يعز على ام حسن ؟ كل غال في سبيلها رخيص . ولكن الا تعلمين ان جبر القلوب في الاعياد واجب علينا ، وانت خير من يجبر القلوب ، ولذا جئت اسألك ان تجبري قلباً عزيزاً عليك فبدت المرأة وكأنها لم تع مما يعني شيئاً . فاذا ابتسامة عريضة تعلو شفتيه الغليظتين ثم يقوم فيفتح باب الدار وينادي بصوت عال :

تعال ياحسن وعروسك زهراء ، وقبلا يدي امك فقد وعدتني ان تبارك زواجكما ، وترضى عنكما وكلامها كلام رجال ... فشهقت ام حسن شهقة عالية ثم اغمي عليها من هول المفاجأة!.. فهرعت زهراء ترش بماء الزهر وجه سيدتها بالامس وحماتها اليوم ، وعلى فمها ابتسامة ظفر واعتزاز . بينما وقف حسن مشدوهاً . ولما بدأت تستفيق من اغمائها كان اول ماتبادر الى ذهنها هو ان تحقق رأي الحاج عبد الصمد فيها فالتفتت نحوه وقالت :

لولا خاطرك ، ولولا إني اعطيتك كلام رجال . وحملقت جيداً ولكنها لم تره ، لأنه كان قد اغتنم فرصة مناسبة للانسحاب !!

الاغا ابو الدب



الآغا أبو الدب

في ليلة حالكة السواد هجر أبو حمود القرية التي أفنى شبابه في خدمة ارضها، دون ان يلقي عليها نظرة اسف . ثم اخذ يضرب في الارض ويكدح ، وبعد جهد جهيد جمع مبلغاً ضئيلاً من المال اشترى به قطعة ارض رخيصة في قرية من قرى وادي بردى ، تشرف على واد سحيق ، ينساب فيه النهر الغزير ، قد حبتها الطبيعة الجمال وحرمتها الخصب ، ولذا زهد فيها الطامعون الجشعون فتركوها لأهلها يعيشون على الكفاف ، عيشة موفورة الكرامة ، ولذا انجذب اليهم ابو حمود الذي ذاق في شبابه مرارة العبودية والهوان من السادة المالكين . وابتنى في ارضه الصغيرة بيتاً كما كان يأمل ويشتهي ، واخذ يعيش على نتاجها الضئيل عيشة راضية على مافيها من بؤس وحرمان .

ولم يمض عليه قليل من الزمن حتى اندمج في سكان قريته الجديدة فأصبح كواحد منهم يفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم فأحبوه ملء قلوبهم ، لقد وجدوا فيه الأب الرحيم ، والأخ الكريم ، والصديق الحميم . فهو يحل مشاكل الرجال ، ولا يمل شكاة العجائز ، ولا يبخل بارشاد الشباب . ولا يبوح بأسرار العذارى وهو فوق كل ذلك عالي الهمة ، كامل المروءة . إذا رأى العجوز أم ديب تجبل الطين لتصلح سقف بيتها ، شمر عن ساعديه وتطوع لمساعدتها دون مقابل ، وإذا عاد من عمله مساء عرج على ابي مصطفى المقعد فأعانه على بعض حاله . وإذا قطف أبو غانم ثري القرية تينه وعنبه ، وملأ السلال لتباع في دمشق ، انتدب أبا حمود

لهذه المهمة لأنه يأعنه على رزقه اكثر من كل انسان.

وما راع سكان القرية ذات يوم الا اختفاء أبي حمود من بينهم . فأخذوا يتساءلون عن سر هذا الاختفاء المفاجيء وكل منهم يعلل له سبباً . ولكن غيابه لم يطل . فذات ليلة كانت السهرة معقودة في مضيفة أبي غانم فاذا ابو حمود يطل على السامرين بقامته المديدة ووجهه الطلق . فاستقبلوه بهرج ومرج ، ورحب به ابو غانم وما كاد يستوي في مكانه قرب الموقد حتى بادره قائلاً :

من اولها يا ابا حمود ! اين كنت ؟ ومن اين اتيت ؟ فسعل ابو حمود وتنحنح ، وفتل شاربه الأشيب بلباقة فهو يقدر مكانته بين هذا الجمع ويعتز بها ثم قال :

طالما سألتموني يا اخواني عن السبب الذي من اجله هجرت قريتي ولجأت الى قريتكم هذه . فكنت كما تذكرون اروغ من الجواب لانه ينكيء جراحاً عميقة في قلبي . أما الآن وقد اندملت جراحي او كادت ، احب ان اقص عليكم ما خفي من امري ، لتعلموا ان في السماء منتقماً جباراً . الويل كل الويل لمن لايخافه ويخشاه !

كان صاحب قريتنا ونلقبه (بالآغا) من هؤلاء السادة القساة ، الذين يستنفدون قوى أجرائهم حتى إذا نفذت نبذوهم نبذ النواة ، وتخلوا عنهم كما يتخلى الانسان عن خرق بالية .

وفي احدى العشايا بعد ان فرغنا من عملنا المضني جلسنا في باحـــة القرية كعادتنا نستروح ، ونتحدث عن (الآغا) فقد بلغنا ان امرأته حامل بعد عقم دام عشرين عاماً صرف (الآغا) خلالها للأطباء والمشايخ مايعادل ثقل زوجه الغاليـة ذهباً . وإذا نحن نسمع زامور سيارته ينعب من بعيد ، فتبادلنا النظرات . كم كنا نكرهه ، ونوجس شراً كلما جاء القرية .

وما هي الى لحظات حتى كان بيننا ، فوقفنا بين يديه جميعاً ننتظر أوامره ، فأخذ يتفحصنا واحداً ، واحداً ، الى ان وقعت عيناه على مصطفى جاسم ، أشجع

شباب القرية وافتلهم عضلا ، فقال له بلهجته العاتبة :

اسرع يامصطفى واذهب الوادي في نهايته شجرة لوز تأتي أكلها قبل غيرها من الشجر ، واقطف ما استطعت من ثمرها وعد الي سريعاً (فالخانم) وحمى وقد اشتهت الآن اللوز الأخضر .

فتلكأ مصطفى قليلا ثم قال :

الا يمكن ان آتيك به غداً صباحا ؟ فقط هبط الليل وطريق الوادي بعيدة وخطرة .

فحدق اليه الآغا وقد برق في عينيه شواظ من نار ، ثم انتهره قائلا :

آه ياكلب ! انت قليل المروءة منذ عرفتك . هل تخشى ان يأكلك الظلام ؟ اقول لك ان (الخانم) وحمى وقد اشتهت الآن اللوز الأخضر فمن يدري إذا ابطأنا به عليها ان يأتي المولود وفي خده او جبهته شكل لوزة تشوه جماله ؟

اسرع فانا بانتظارك . واياك ان تغيب اكثر من نصف ساعـــة ... وتطوع اثنان من رفاق مصطفى جاسم لمرافقته ، ولكن (الآغا) زجرهما بشدة قائلا :

وحياة رأسي لابد ان يذهب وحده لأعلمه الشجاعـــة والرجولة ، وإلا طردته الآن من قريتي ، فأنا لاأحب الكسالى الجبناء ...

وطأطأ مصطفى جاسم رأسه ، وقام يجر خطاه نحو الوادي وهو يقول :

لااريد ان يرافقني احد لا اريد ! . واخذنا نتبعه بانظارنا ونحن سكوت حيارى حتى غيبه الظلام . فقد كنا ندرك مايحف بطريق الوادى من أخطار . وكنا ندرك ان مصطفى جاسم لايستطيع التمرد فهو يخاف الطرد لان وراءه زوجة وخمسة اطفال .

ومضت نصف ساعة ولم يعد . وبدأ الآغا يتململ . ثم اخـذ يكيل له السباب والشتائم ، حتى مضت ساعة كاملة نفذ خلالها صبر (الآغا) فركب سيارته واخذني معه مع اثنين آخرين ، واندفع بنا ينهب الأرض نحو الوادي . وما كدنا

نصله حتى رأينا منظراً مخيفاً قف من هوله شعر رؤوسنا : كان مصطفى جاثم ممدداً على الارض وقد جثم فوقه وحش هائل ... ولما تقدمنا منه تبين لنا ان دبا كاسراً داهمه وهو عائد ، ولم يكن معه من السلاح الا مدية صغيرة اخذ يدافع بها عن نفسه ، ولكنه لم يستطع ان يجهز على الدب ، الذي زادته الجراح استفراساً فانشب مخالبه في عنق مصطفى واغمد هذا بدوره مديته في قلب الدب وخر الاثنان على الارض فوق بعضها صريعين ..

وعندما رأينا مارأينا طاش صوابنا ، فأخذنا نكيل للآغا فارس القول ، وشديد اللوم ، ونلعن الساعة المشؤومة التي طالعنا بها وجهه ، وقد هجم عليه احدنا يريد ان يصفعه . فما كان منه الا ان اشهر مسدسه في وجوهنا نحن العزل وصاح فينا بصوت كالرعد :

اخرسوا ياكلاب ... يا كفار ... هذه هي الساعة التي وعده بها الله ، وقد الهمني ان ارسله الى هنا ليستوفي المنية التي كتبها عليه . انتم لاتدركون من امر دينكم شيئاً ! ...

فتراجعنا وقد كظمنا غيظنا مرغمين . لقد كانت له علينا سيطرة عجيبة . او بالاحرى كانت نفوسنا قد اعتادت الخنوع والذل .

ثم قال وقد خفف من حدته قليلا :

ولكن هل قطف اللوز ياترى ؟ فتشوا جيوبه . وتقدم أحدنا واخرج اللوز من جيوب القتيل ووضعه في السيارة ، بينما كان (الآغا) يتفحص الدب بدهش ويقول :

ياله من دب رائع ! ما ابدع فروته ، احملوه الى السيارة اريد ان احتفظ به وانطلق باللوز الاخضر ، وبجثة الدب الرائع الى زوجه الوحمى ...

وحملنا نحن قتيلنا الى القرية ! ونفوسنا تعتلج قهراً ، ولوعة ، واشمئزازاً ! وكان مأتماً لم تشهد له القرية نظيراً ، وكأنه قد اقيم في كل بيت من بيوتها .

ومضت شهور ولم نر (الآغا) .

ولا حديث لنا إلا مأساة مصطفى جاسم الذي اقمنا له قبراً على هضبة في مدخل القرية ، واخذنا نسهر كل يوم حول قبره حيث يحتدم الجدال بيننا جميعاً او على الاصح بين شيوخنا وشبابنا ، الشباب يريدون ان يثوروا على (الآغا) . فهذا يتطوع لاغتياله ، وذاك يقترح ان نحرق الغلال ونهجر القرية . ولكن الشيوخ يمانعون . فقد القي في روعهم ان الثورة لاتجديهم الا شراً على شر . فلنترك الامر لله فهو وحده كفيل ان يقتص من كل جبار عنيد .

ولم تهدأ وطأة هذا الجدل إلا عندما عادت ذات صباح احدى بنات القرية وكانت تشتغل خادما عند (الآغا) واسرت الينا : ان زوج الآغا ماتت اثناء الولادة بعد ان وضعت مخلوقا عجيب الشكل ، له **راس دب وجسم انسان ...** وقد دفع الآغا مبالغ طائلة للأطباء والممرضات ليخنقوا المخلوق العجيب ويكتموا امره لكي لايصبح أحدثة المتحدثين ، وفرحة الشامتين .. وقد استولى الحزن على (الآغا) الى حد جعله يعتكف في بيته فلا يبرحه الا نادراً . ومنذ ذلك اليوم اطلقنا عليه فيما بيننا اسم (**الاغا ابي الدب**) وكنا حريصين جداً الا يشيع هذا اللقب خوفا ان يبلغ مسامع (الآغا) فينتقم منا بلؤمه المعهود .

أما أنا الذي كنت اشد الرفاق حماسة ، فقد بلغ مني اليأس اشده عندما رأيت النفوس تهدأ بعض الشيء ، ولم يعد لي قدرة على إثارتها . انتهي قضية مصطفى جاسم عند تسمية الآغا (بأبي الدب) ؟؟ ..

وفي اثناء ذلك ماتت امي . فلم يبق لي من يربطني بالقرية حيث لازوج لي ولا ولد فهجرتها الى غير رجعة . وانقطعت عني اخبارها سنين طويلة ، ولكن اول البارحة رايتها في حلمي وكأنها قطعة من الجنان . فهزني الشوق اليها والح لرؤية مراتع الشباب ، ورفاق الصبا ، فشددت اليها الرحال وقبل ان ابلغها بقليل استوقفني رجل ترجل من سيارة وسألني قائلا :

اتعرف يا اخ اي طريق تؤدي الى قرية **ابي الدب** ؟

فحملقت في وجهه دهشاً ، ثم انقلبت ضاحكا وقلت له :

إني اقصدها . فقال :

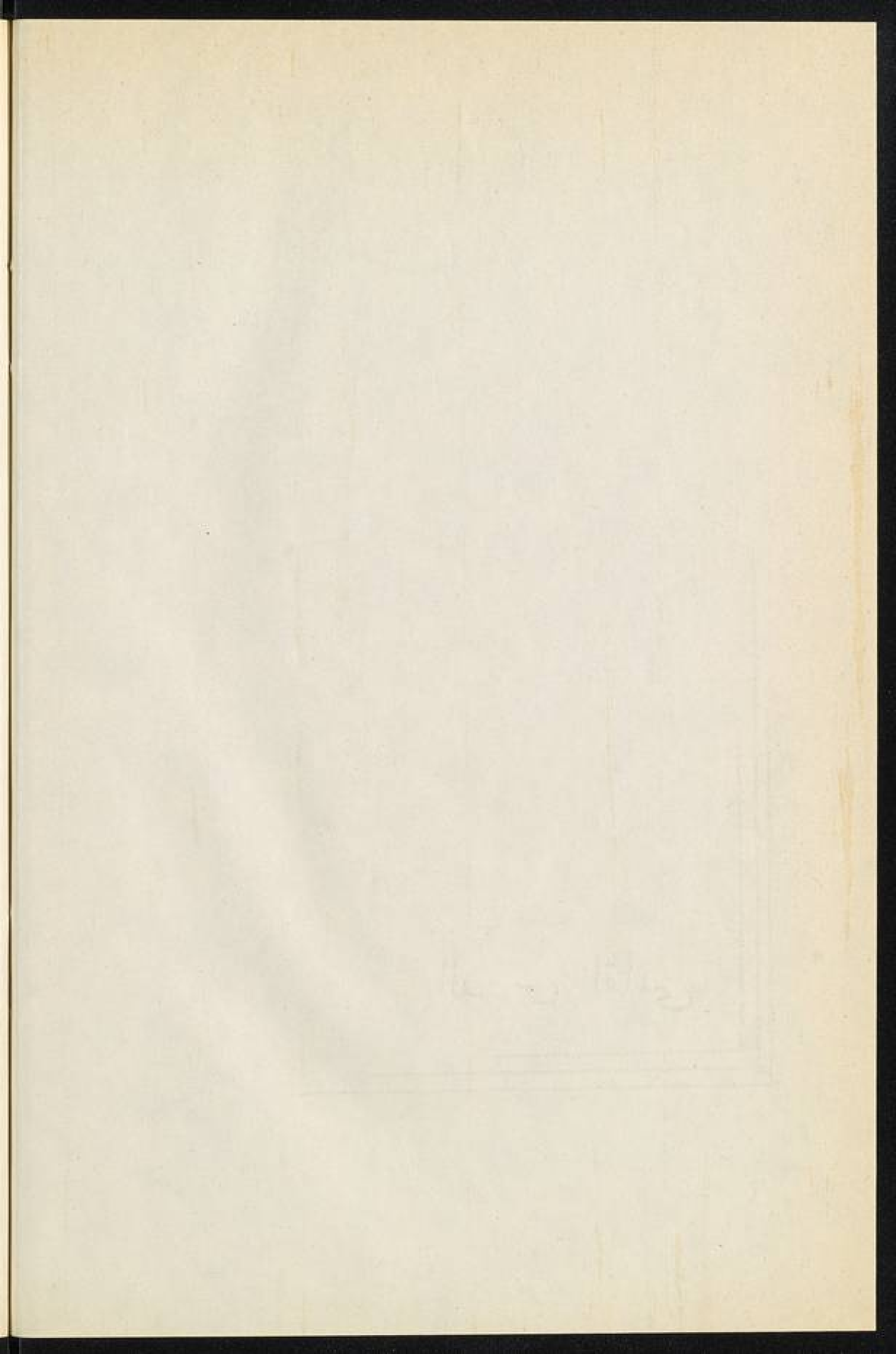
تعال إذن اركب معنا .

ولما صرت بينهم فهمت انهم مرسلون من قبل (الآغا) ليكونوا واسطة صلح بينه وبين فلاحي القرية الذين تمردوا عليه منذ شهور . اما الآن فقد تراجع عن غلوائه أمام بأسهم ،ورضخ لكل شروطهم على ان يدخل بعد اليوم قريته آمناً ..

فكادت الدموع تطفر من عيني فرحا . ولما صرنا على مقربة من القرية لاح لي قبر مصطفى جاسم وقد طلي بدهان ابيض ، وزين باعصاب خضر كأنه توفي اليوم . فتذكرت مأساته الاليمة ، التي حفزت رفاقه على الثورة .

اما انا فقد آثرت العودة من حيث اتيت ، لقد وجدتني لا استحق ان اشركهم في يوم نصرهم .. فقد يئست وفررت . حيث صمدوا وجاهدوا حتى نالوا حقوقهم من **الاغا ابي الدب** ...

الدرس القاسي



الدرس القاسي

كان سعيد بك أو كما يسميه اصدقاؤه ومحبوه ابا السعد ذا موهبة نادرة في القاء الاحاديث ورواية النكات . ولطالما ود سامعوه لو انه لايسكت ابداً . وقد يروي النكتة المرة والمرتين والثلاث فلا تبلى جدتها ولا تفقد رونقها ، وكثيراً ماطلب منه اصدقاؤه ان يعيد عليهم حديثاً عرفوه ، او نكتة سمعوها منه مراراً عديدة فيدهشون للحديث ، ويضحكون للنكتة كأنهم يسمعونها اول مرة .

وكان ابو السعد الى جانب مقدرته هذه ملماً بكل شيء . فهو يهوى الأدب ، ويفهم الموسيقى ، ويجيد الرقص إجادة تامة ، ويمارس اكثر انواع الرياضة ، ويلعب بكل العاب التسلية . لقد كان شخصية فذة حقاً . وما كان ليرى مرة الا وهو محاط باصدقاء يمتد ضحكهم ويعلو صخبهم .

فلما كانت احدى العشايا انتظم عقد الاصدقاء حلقة حول ابي السعد يسألونه ان يحدثهم حديث الملهى يوم فر منهم من دمشق الى لبنان . وما كان أكرمه فهو لايبخل بشيء مما يطلب منه . فقال :

عندما كنت في المصيف اعتدت كل ليلة ان اقوم بنزهة سيراً على الاقدام ، فقادتني قدماي مرة الى امام ملهى من تلك الملاهي اللبنانية الأنيقة ، التي تبعث في الصيف وتموت في الشتاء . جذبتني أنواره اللألاءة ، وموسيقاه الصاخبة فما وجدتني الا وأنا أحتل وحيداً احدى موائده ، اقلب النظر في من حولي من الناس ، وكلهم يبدون سعداء فرحين او هكذا احبو أن يظهروا . فبعضهم

يتسامر ويشرب ، والآخر يرقص ويصخب . ولفت نظري اناس جلوس الى موائد لايتسامرون ، ولا يرقصون ، ولا يشربون بل يتهامسون ، فيحصون على الراقصين والراقصات حركاتهم ، ويعدون على الشاربين والشاربات كؤوسهم، ويحاسبون السامرين والسامرات على نظراتهم ، وفلتات لسانهم . ولما كنت وحيـــداً لا أنيس لي حذوت حذوهم ، ونسجت على غرارهم رغم مقتي الشديد للفضول . ولما كانت مائدتي مشرفة على ساحة الرقص تماماً حلا لي ان اراقب الراقصين والرقصات فأفسر أوضاعهم كما يشاء لي خيالي الخصيب ...

فهذه امرأة نصف قد آذن جمالها الخلاب بالغروب ولم يبق منـــه الا لمحات كتلك الومضات التي تنبعث عن الشمس عند المغيب ، تراقص شاباً وسيماً ، وتحاول ان تستأثر به فتمعن في الكلام والضحك والحركات لتصرفه عن الكواعب الحسان اللواتي كن ينتثرن حول كثير من الموائد كالنجوم اللامعة . وما اظنها بالغة ماتريد فها هو ذا الشاب يخالس سمراء فاتنة نظرات بنظرات كلما أتيحت له الفرصة .

وهذا رجل قصير ممعن في القصر ، يراقص امرأة فارعة الطول فتبدو وكأنما قد اشرفت عليه من عل . اظن ان القصر قد احرق كبده فأحب الطول ورأى فيه آية الجمال حتى ولو كان مشوهاً كطول هذه المرأة ،

وهذه إمرأة ضخمة قد حجبت مراقصها عني فما بدا منه شيء ابداً . ما كان احراها لو تركت التثني والتلوي للصغيرات اللدنات ! وهذا الفتى ، وهـذه الفتاة كأنها أبلون يراقص فينوس . لقد تعطلت لغة الكلام بينهما فأخذا يتفاهمان بلغة العيون لغة الحب تفسرها لهما الموسيقى ،فمرة اماني واحلام ، واحياناً اندفاع وحماسة ،وتارة بهجة ولذة ، وطوراً هدوء واسترسال . انهما لايعبآن بأحد كأن الملهى لهما وحدهما ، والموسيقى لم تعزف الا من اجلهما فقط .. والفتى ممعن في شد الفتاة اليه وكأنما قد قبض على السعادة بكلتا يديه وخشي ان تفلت منه .

وهذا رجل انيق على ابواب الكهولة قام عن مائدة بجانبي تماماً حيث ترك امرأة وديعة الوجه ، صافية العينين اظنها زوجه . ودعا الى الرقص من مائدة مجاورة فتاة مياسة القد ، ممشوقة الخصر . فكان اذا مر من امام زوجه اثناء الرقص ، رقص بجد واتزان ليوهمها ان الرقص ما هو الا رياضة مفيدة ، وفن تحلو ممارسته ، ومجاملة لابد منها . فاذا توارى عنها بين الراقصين والراقصات ضم الصبية اليه بوله وحنان ، ومر بيده على خصرها الممشوق ، وهمس الى اذنها بكلمات تتبعها زفرات . وكانت الصبية ترقص بكل حواسها ، وتتابع الموسيقى حتى بنظراتها الخلابة .

اما الزوجة فكانت تتابعها بنظرها فمرة يشرئب عنقها ، ومرة يلتوي يمنة ويسرة . وما اظن انه قد خفي عليها شيء من حركاتها ، حتى بدت وكأنها تتآكل غيرة وغيظاً . ثم شعرت إني أراقبها فخجلت وابتسمت ابتسامة شجعتني على ان اكلمها فسألتها :

– اليس زوجك هذا الأنيق الذي يراقص الحسناء الممشوقة ؟

قالت بمرارة :

بلى انه هو !

قلت : فهل تسمحين إذن برقصة مماثلة ؟

قالت : بكل سرور .

وما كدنا نبتدىء بالرقص حتى آذنت الموسيقى بانتهاء الرقصة ، وعزفت لرقصة اخرى . فعاد الزوج الى مائدته واندفعت معها بالرقص . ثم قلت لها :

كأنه يروقك ان نمر من امام مائدة زوجك ...

قالت : إنك لشديد الذكاء من اين عرفت ذلك ؟

قلت : عرفته من شدة الذكاء ... وضحكنا . ثم قلت لها :

انظري اليه كيف يتبعنا بنظراته ، فمرة يشرئب عنقه ، ومرة يلتوي يمنة

ويسرة ، هكذا كنت انت منذ هنيهة .

قالت : هل مهنتك ان تجلس في هذا الملهى فتحصي على رواده حركاتهم وسكناتهم ؟؟ .

قلت : نعم .. إنها مهنتي ...

قالت : يا لها من مهنة خاسرة !!

قلت : ولكن لاتنس انها يسرت لي الرقص معك ... ومهنة تيسر الرقص معك ليست بالمهنة الخاسرة ...

فابتسمت لاطرائي وقالت :

ها انت ذا قد فهمت كل شيء ، احب ان القي **درسا قاسيا** على زوجي .

قلت : ومن ابرع مني في القاء مثل هذه الدروس ؟

وكنا نرقص بجد واتزان ، فلما قاربنا مائدة الزوج احببت ان ابدأ **الدرس القاسي** ، فحاولت ان اضمها الي بوله وحنان . وان اهمس اليها بكلمات تتبعها زفرات .

فنفرت قليلا ثم قالت :

حذار من هذا فزوجي لا يستهان به .

قلت : اما اردته درساً قاسياً ؟ وما ادراك انت **بالدروس القاسية** ؟ اما رأيته كيف كان يراقص الحسناء المشوقة ؟

قالت ممتعضة : بلى لقد رأيته ...

قلت : فهل انت ممن يستهان بهن ؟ ..

قالت : معاذ الله . ولكن ما يغفر للرجل لا يغفر للمرأة ! .

قلت : آراء عتيقة لا محل لها في القرن العشرين . لقد جاهدت المرأة كثيراً حتى اصبحت صنو الرجل تماماً . وما دمت تؤمنين بهذه الآراء البالية فما انت بصنو رجل ابداً .

فتلكأت قليلا ثم قالت :

أعزب انت ؟

قلت : نعم .

قالت : فاذا فكرت بازواج هل ستختار امرأة تكون صنو الرجل تماماً ؟

قلت : ولكن سوف لا أفكر بالزواج على الاطلاق .

قالت : ولماذا ؟

قلت : لأنهن اصبحن جميعاً انداد الرجال !

فضحكت بخبث ثم قالت :

ها انت ذا قد تراجعت واعترفت ان المرأة التي تكون صنو الرجل تماما امرأة غير مرغوب فيها . ولا يصرفنك هذا السبب عن الزواج فتسيء الظن بكل النساء ، ففيهن الكثيرات مثلي لا يرغبن ابداً ان يكن انداد الرجال في يوم من الايام . وشغلتنا هذه المناقشة فتجاوزنا مائدة الزوج حيث فاتنا أن نمثل مايجب علينا تمثيله ! وكانت الموسيقى قد آذنت بانتهاء الرقصة الأخيرة ، فانحنيت امامها بلطف وقلت :

أيكفي درس واحد لتأديب زوجك ؟

قالت : ما اظن ، ربما لزمه درس آخر !

قلت : فاذاً الى غد

قالت : الى غد .. وإياك أن تغير مائدتك .

ولما عدنا كل الى مائدته تلقاها زوجها بنظرة قاسية ، ودعاها فوراً الى الانصراف ، وحيتني وهي منصرفة بإيماءة لطيفة من رأسها ، وبغمزة من عينيها الصافيتين : ان الى غد ..

فلما كان الغد تلقيت دعوة الى وليمة عشاء فاخرة اقامها بعض الاصدقاء الاعزاء خصيصا لى . فاعتذرت بشتى المعاذير ، وانتحلت جميع العلل حتى

استطعت ان اتخلص منهم .

فالمرأة ذات الوجه الوديع ، والعينين الصافيتين ستنظرني في الملهى لتلقي الدرس على زوجها ، ولا يخفى على أحد ولعي بالوجوه الوديعة والعيون الصافية ، ولست ممن يتقاعس عن القاء درس كهذا الدرس ! فمن يدري ؟ لعل الليلة تسفر عن صيد ثمين فما زال في جعبتي كثير من السهام .

فلما امسى المساء كنت اول من دخل الملهى ، وجلست الى مائدتي المعهودة ، وماهي الا لحظات حتى اقبلت المرأة و زوجها وهي تزهو بثوب رائع ، ولكنها لم تحيني بأماءة لطيفة من رأسها ، حتى ولم تلق علي نظرة عابرة من عينيها الصافيتين! فما بالها اليوم تنكرني هذا التنكر ، وتتجاهلني هذا الجهل ، وتعرض عني كل الاعراض كأنه لم يكن بيني وبينها اشياء !! بل جلست الى مائدتها وولتني ظهرها. وجلس الزوج قبالتي تماماً . ثم حدجني بنظرة فيها الكثير من التحدي والاستفزاز مما جعلني اومن كزوجه ، انه لايستهان به أبداً .

ثم اخذت اتحاشى النظر اليه . ولما دعت الموسيقى الى الرقص كان أول من لباها هذان الزوجان ، واندفعا يرقصان بحماسة وأخذت اتابعهما بنظراتي . وكأني بالزوجة كانت تلفت نظر زوجها الي كما كنت الفت نظرها البارحة فتقول له :

انظر اليه كيف يتابعنا بنظراته فمرة يشرئب عنقه ، ومرة يلتوي يمنة ويسرة . فينظران الي ويضحكان مني .

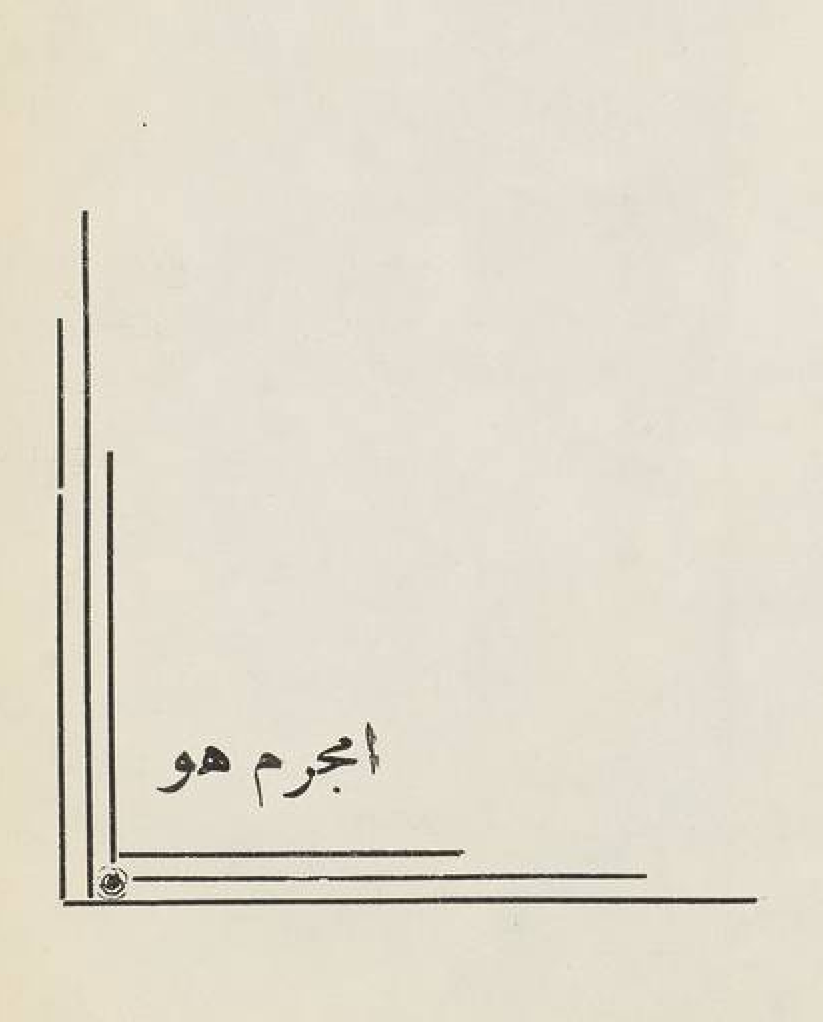
ولما مرا من امام مائدتي اثناء الرقص ، مال علي الزوج وقال :

حذار بعد اليوم ان تفكر في **القاء الدروس...**

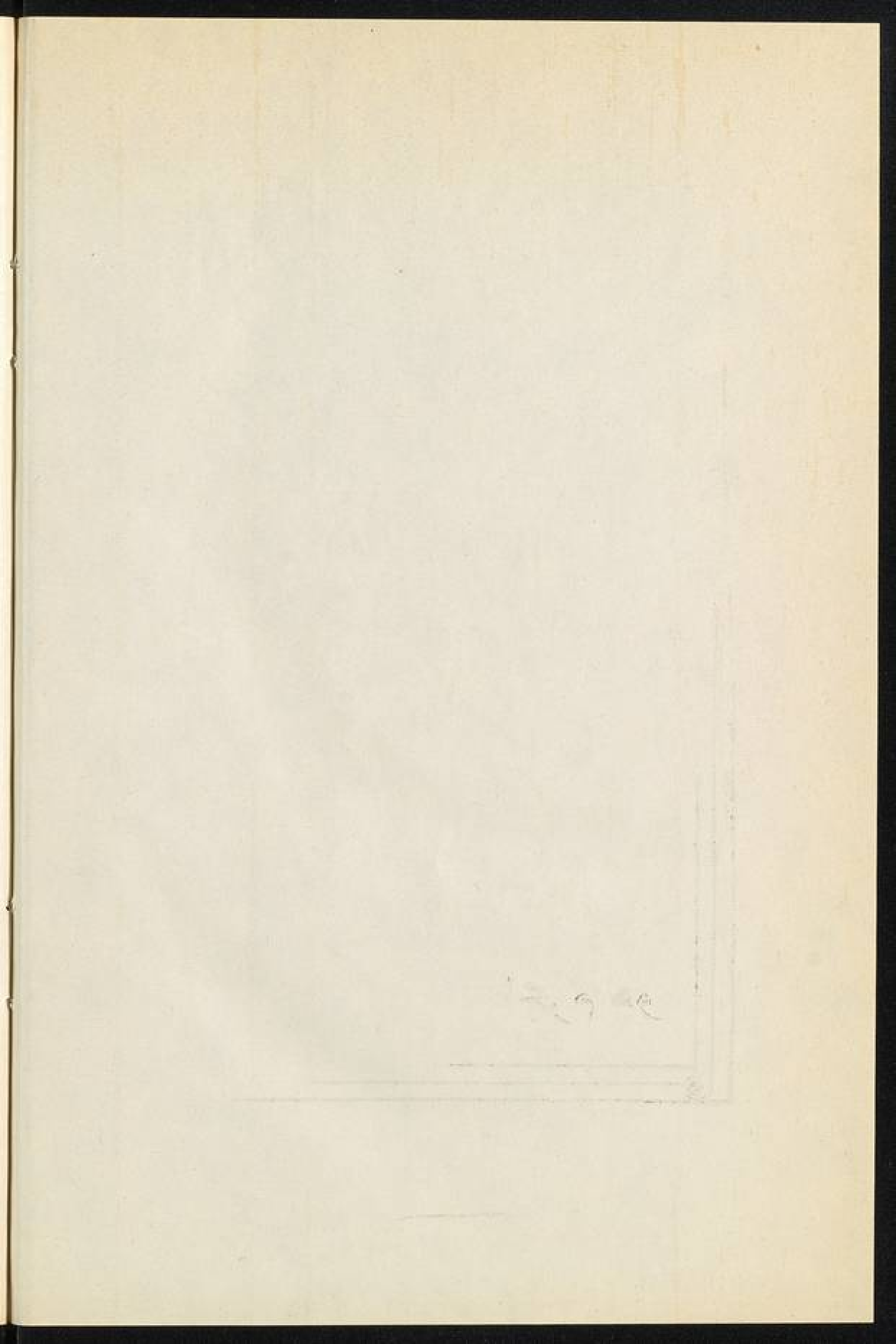
فاجبته على الفور .

وحذار انت بعد اليوم ان **تراقص طرايا العود ، ممشوقات الخصور ...**

وضحكنا وارتسم الرضى على الوجه الوديع وحسبي ذلك !!



المجرم هو



أمجرم هو

ها انا ذا ايها الصديق الجأ اليك شأني دائماً كلما وقعت في مأزق حرج .

اما مأزقي هذه المرة فحيرة شديدة تملكتني ، واضطراب استولى علي حتى اصبحت لا استقر على حال من القلق .

ولا احب ان اطيل عليك فلنبدأ القصة من اولها .

طلب مني احد معارفي ان ادرس ابنته الادب العربي . فكنت اختلف اليها مرتين في الاسبوع . كانت صبية فاتنة ، قوية الشخصية ، لم تتجاوز العشرين ربيعاً . ابدت اعجابها بي منذ تعارفنا اول مرة بصراحة تامة ، و لباقة نادرة جعلتني انا الذي شارفت الخمسين اتيه معتزاً . ثم اخذ بإذلي ان اثبت لنفسي انني مازلت شابا ذا حظوة عند النساء يحسدني عليها الكثيرون . وان هذه الصغيرة الفاتنة اصبحت تنتظر مقدمي اليها لهيفة مشوقة كغيرها من النساء اللواتي عرفتهن في عز شبابي . وإذا خامرني اي شك فيما اخذت اعتقده كنت اطمئن نفسي قائلا :

واي غرابة في ذلك ؟ نحن الادباء لنا ميزة خاصة . ألم تبادل جوته العشق فتاة في الثامنة عشرة وقد تجاوز الثمانين ؟ .

الم تهم بفكتور هوغو وهو شيخ نساء في ريعان الصبا ؟ .

الم يتيم عمر بن ابي ربيعة نساء عصره طوال حياته ؟ .

ولكنني ادركت اخيراً على انها هي ايضاً كان يروقها ان ترى رجلا مجرباً مثلي ، قد قرأت له الكثير من القصص والروايات ، وسمعت الكثير عن مغامراته في ميدان الغزل والعاطفة يفتتن بها . ولعل مامن شيء كان يطمئنها على سحر

جمالها كأن تراني مأخوذا بها مرتبكا امام فتنتها .

كان كلانا اذن حريصاً على ان يفتن الآخر ليرضي غروره فقط . ومع الايام نشب بيننا نضال نفساني شديد مضينا فيه كل في طريقه ، ولكن اتدري ياصاحبي كيف انتهينا .

يالها من ساعات ممتعة تلك التي قضيتها ادرسها الادب !.. لقد عادت بي تلك السويعات سنين عديدة الى الوراء . أليست معجزة ان يعود الشباب ؟ ثم تتحول نفسك في فترة وجيزة من بيداء ظمأى الى ربيع ندي ، ولا تلبث حتى تصبح تتمشى فيك نغمة حلوة ، ويخفق قلبك لضحكة عابثة ، وتسري فيك رعشة لمسة طائشة .

كنت اصرف الساعات الطوال من وقتي الثمين وانا انتخب مقطوعات من الشعر الغزلي الرقيق اكررها في خلوتي مراراً عديدة حتى إذا اجدتها والقيتها امامها لست تأثرها بها . ولربما بنيت على هذا التأثر المصحوب بنظرات عميقـــة اشياء واشياء .

هـكذا كان غروري يفسر لي الامور كما تشتهيها نفسي !

كأني ارى ابتسامة عريضة تعلو شفتيك وانت تتمثلني اتمرن على مقطوعة من الغزل لالقيها امام فاتنتي كما يفعل ابن العشرين تماماً .

لابأس ياصاحبي ان تضحك مني فلطالما ضحكت انا من نفسي !. ولكن حذار ان تغرق في الضحك ، فقد آن لك ان تشفق على صديقك الذي دخل المعركـة على ان يكون فاتناً منتصراً فخرج منها مفتوناً مدحوراً . لقـــد تغلبت هي . والشباب دائماً غلاب .

طلبت مني ذات اصيل بعد ان فرغنا من الدرس ان امضي السهرة عندها ، ثم قالت وقد شبكت يديها على صدرها وومضت عيناها ببريق اخاذ .

اريد الليلة ان اعهد اليك بمهمة عسيرة لان ما من احد غيرك يستطيع ان يساعدني بها . وتمالكت انا من ان اقول :

انا طوع امرك ، ورهين اشارتك . اردت ان احتفظ بوقار الاستاذ ولو قليلاً . ثم استأنفت حديثها بعد اطراقة قصيرة قائلة :

لقد تقدم لخطبتي رجلان . اعجب والدي بأحدهما ، واعجبت انا بالآخر ، وقد دعوت الليلة الذي اخترته انا لتمضية السهرة عندنا ، وكل ما اريده منك هو ان تقنع والدي بوجهة نظري .

فعضضت انا على النواجذ ، ثم قلت متكلفاً اللامبالاة :

سأقنعها ، وليس اسهل علي من اقناعها ، هذا فيما إذا اعجبت انا ايضاً بالشاب الذي اخترته لنفسك ، لأن امرك يهمني كما يهمني امر ابنتي تماماً .

فأجابت بلهجة تنم عن ثقة واعتزاز :

سيعجبك وما من شك في ذلك ابداً ، إنه شاب مثالي .

قلت متهكماً :

انه ليشوقني ان اري هذا المثالي الذي فاز باعجابك .

لادري ياصاحبي لماذا شعرت بالمقت والكره لهذا الشاب منذ وقعت عيناي عليه . لقد شعرت والله كأنه يجثم فوق صدري . واصارحك انني لم اترك له ليلتئذ فرصة واحدة لينطق بكلمة . فقد استوليت انا على مجالي الحديث ، وجلس هو متململا وكانه قد ضاق بي ذرعا . كان يمد يده من حين لآخر فيسوي شعره الكثيف المتموج ، وكنت انا ايضا بحركة لاشعورية امد يدي الى رأسي فتصطدم بصلعة ملساء تعيدني فوراً الى واقعي المرء . وكأني كنت اطمع ان اعوض عن نقصي هذا فتسعفني حالا ذاكرتي الفياضة بنكتة حلوة او حديث طريف . ولما انتهت السهرة وآن آوان الانصراف آثرت التربث حتى انصرف هو قبلي . ولما ودعتها ووالدها لمحت في عينيها نظرة تستوضحني رأي ، فتجاهلتها بارتباك . ثم انصرفت وانا اشعر بانقباض وضيق شديدين كهذا الشعور الذى يعترينا بعد خيبة امل او انكسار ذليل . ولما أويت الى سريري تعـــذر علي النوم وازداد ضيقي

وانقباضي فأخذت اغالط نفسي عما يدور في اعماقها وأعزو ما أصـــابني الى الاسراف في التدخين وشرب القهوة .

ولما عاودنا درسنا كان اول ما بادرتني به ان سألتني رأيي بفتاها . فكان جوابي قهقهة عاليه. ثم قلت بسخرية :

لا أدري والله ما الذي اعجبك به . انه ثقيل ، متكلف ، مغرور ، متعجرف بليد . وقد تناهى الي ايضاً ان سمعته ليست ... ولكن لا ... دعينا من هـــذا ياصغيرتي فانا لا احب اغتياب الناس ! ... الم تلاحظي انه لم يبدأ حديثاً ، ولم يبد رأيا ، ولم يؤيد فكرة ، بل جلس كتمثال مغتراً بجماله مع العلم انه كان يبـــدي وقتئذ خير ماعنده ليفوز باعجابك . ولكن ما العمل ؟ المرأة هي المرأة مهما نالت من الثقافة والعلم ، لايعجبها في الرجل الا قوام فارع ، وشباب دافق . ومنكبان عريضان . إني والله لأضن عليه بهرة فكيف بصبية كاملة مثلك ؟

كانت تنظر الي مشدوهة وقد بانت الخيبة على وجهها ثم استسلمت الى صمت عميق يائس .

اعترف اليك الآن خجلا اننا تألبنا عليها أنا وامها وأبوها حتى زوجناها من ذلك الكهل الثري الذي اختاره ابوها . وسافرت معه الى شهر العسل . وانا راض مطمئن النفس ستعود عما قريب ، وسنستأنف الدرس كما وعدتني .

ان للضمير ياصاحبي غفوات !!

لم يمض على هذا الحادث سوى اسبوع واحد حتى دخل عليَّ ابني ذات مساء وعلى فمه ابتسامة رضى ثم قال لي :تقدم صديقي فلان لخطبة أختي .

وما كدت اسمع الاسم حتى انتفضت كالملسوغ وقلت :

لا أوافق ابداً لايعجبني هذا الطراز من الشباب . انه فارغ متعجرف ، ثقيل بليد فقاطعني ابني قائلا :

من اين تعرفه ؟ إنه صديقي وهو من خيرة الشباب وبريء من كل ماوصفته به . لا اعتقد ابداً ان اختي ستحظى بزوج خير منه ، حرام علينا ان نضيعه عليها

أختي راضيه عن هذه الخطبة بل فرحة مستبشرة .

فسكت أنا على مضض . وأخذت افكر بالامر وانا اكرر في سري فرحة مستبشرة .

ووقعت في حيرة شديدة لقد أصبحت انظر الى الشاب بعين غير التي رأيته بها يوم الـهرة . انه شاب مثالي حقاً ! ...

أتصل بي الانانية الى درجة ان احرم منه ابنتي من اجل ان لا أتراجع وألام امام تلك التي يهمني امرها ؟ انا الذي وعدت امرأتي وهي على فراش الموت ان أكون لابنتنا الغالية اماً واباً .

لا ... إن هذا لكثير على أب مثلي .

ووافقت على الزواج وجرت مراسيمه بسرعة عجيبة . وسافرا الى شهر العسل وكانت هي وزوجها لم يعودا بعد ، وشاء عبث الاقدار ان يجتمعوا جميعاً في فندق واحد .

لقد وردتني منها رسالة فهمت من فحواها انها كرهت الادب والأدباء وتقول في نهايتها .

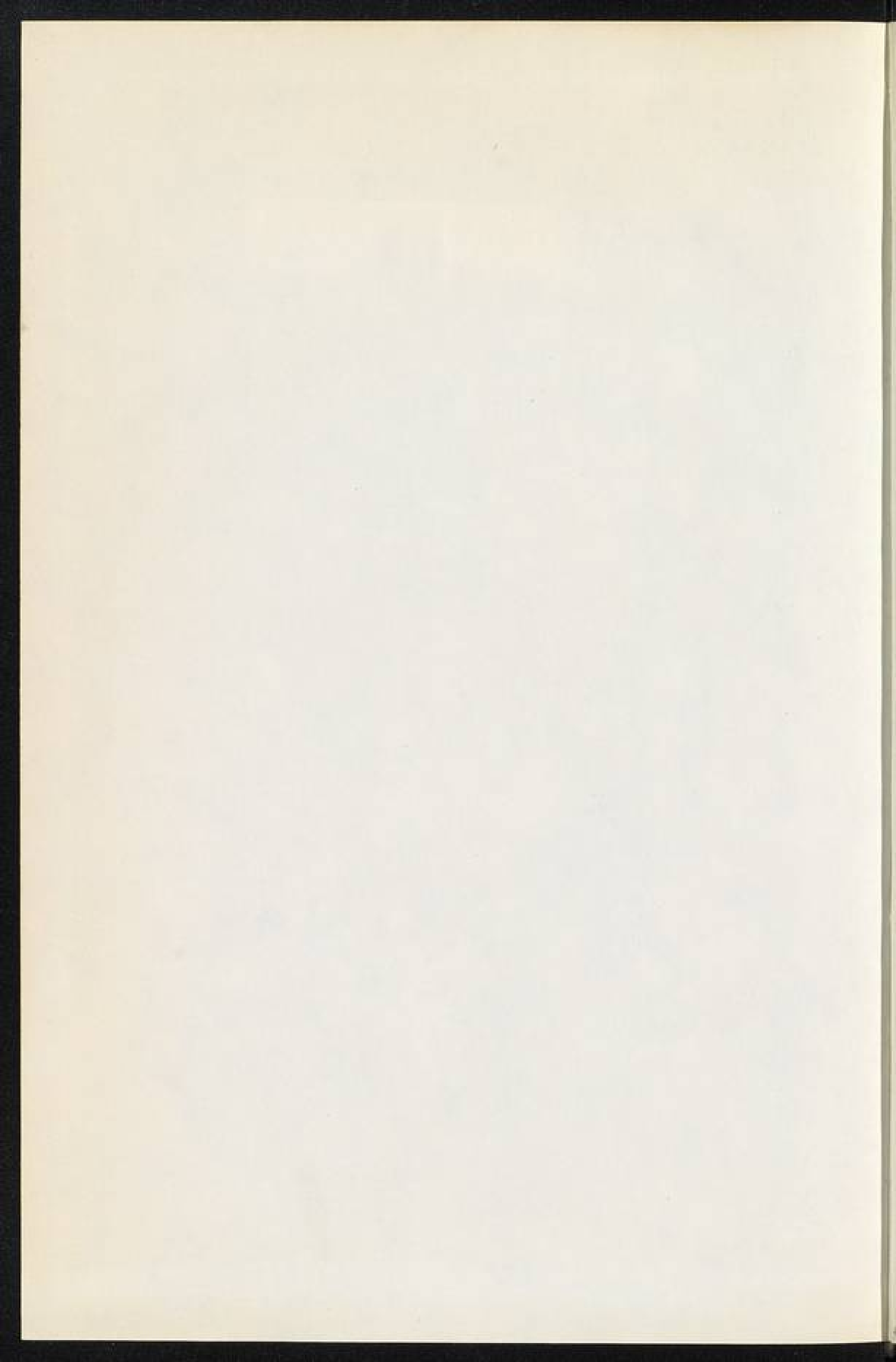
الآن ادركت جيداً لماذا حلت بيني وبين الزواج من فلان انا التي يهمك امرها كما يهمك امر ابنتك تماماً .

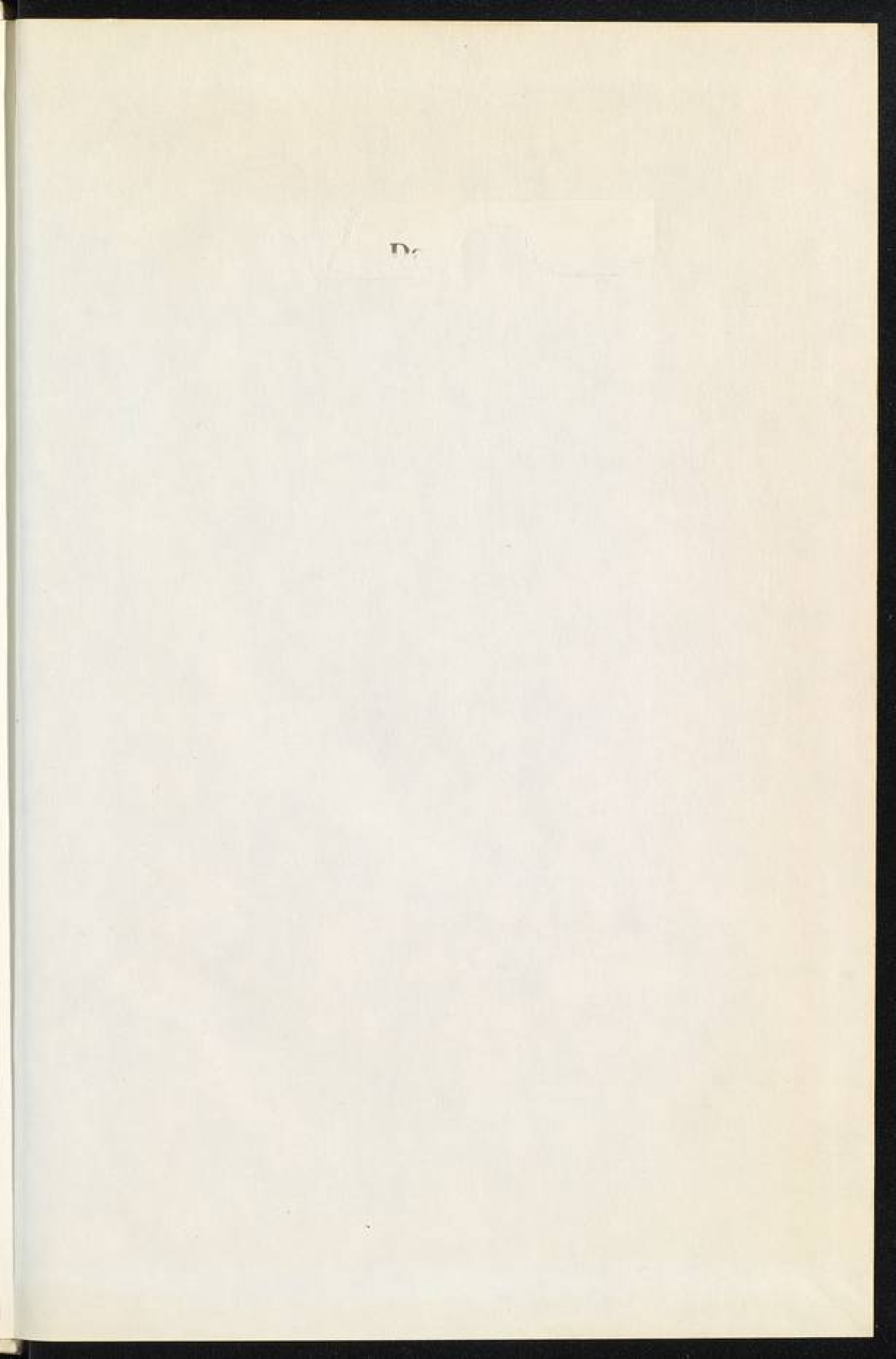
لقد حللت ياصاحبي في قصصي اعقد الشخصيات ، ولكنني وقفت حائراً عاجزاً أمام نفسي . تراودني الآن فكرة الكتابة اليها عساها تعود ويعود معها الشباب ولكنني امزق في النهار ماكتبته في الليل بعد أرق هدام لانني لم اجد مايبرر موقفي الخاطيء منها . كيف لي ان ارضى بالواقع وفقد الشباب مرة ثانية اشد لوعة ، واعمق ايلاما من فقده بالمرة الاولى . فهل تستطيع انت وقد عهدتك واسع الصدر لامثالي ان ترشدني الى طريقة تخلصني من الندم الذي اعتراني ومن هذه الحيرة التي تملكتني وهذا الاضطراب الذي استولى علي حتى اصبحت لااستقر على حال من القلق . يخيل الي احياناً **انني مجرم** فهل تراني كذلك .

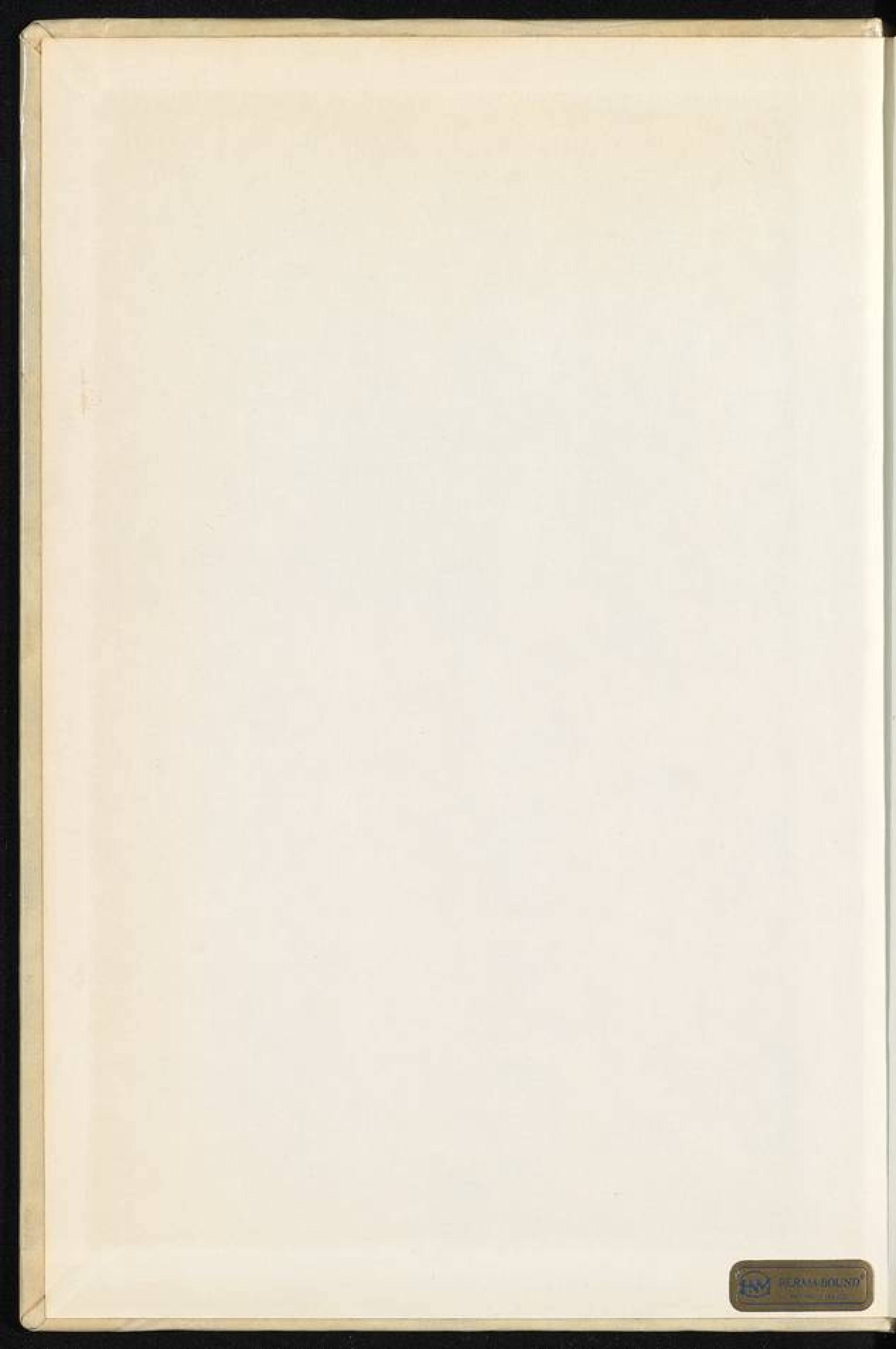
T

Back

S






PERMA-BOUND

